موت مغنية مغمورة

مجموعة قصصية

كريم فوزي

الطبعة الأولى يناير ٢٠٢٠

الكتاب : موت مغنية مغمورة

المؤلف : كريم فوزي

تدقيق لغوي : محمود بكري

تصميم الغلاف : محمد دربالة

رقم إيداع : ٢٣٥٥٤ - ٢٠١٩

ترقيم دولي : ٩-٨ - ٨٥٥٥٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

دار مسار للنشر و التوزيع

01020439639

massar.pub1@gmail.com

ش - حسن خطاب - قسم يوسف بيك
- الزقازيق - الشرقية

كريم فوزي

موت مغنية مغمورة

مسار
للنشر و التوزيع

إهداء..

إلي امي و ابي و اخواتي
الي مريم فوزي لولاها ما كنت كتبت
الي استاذ عصام ابراهيم و ياسر عبد الظاهر
الي الذين شاركوني الطريق دون سابق معرفه
و اتسعت قلوبنا لبعضنا البعض
الي الودعاء الطيّبون .. الذين يرثون الأرض
الذين لا يتعلمون ان خلف كلّ قيصر يموت..قيصر جديد !
ثم الي مسك الختام
الي أميرة عادل السبب للكتابه و الحياه و كل شئ
و معرفة ان الحياه ليها الوان كتير

كريم فوزي توفيق
٢٠١٨/١١/١٢

ليلي

الصمت و الترقب، اسوء ما في الامر اننا نعرف كل شئ ولا نعترض، لا نقدم اي جديد يذكر كل ما نفعله هو تكرار الاخطاء مرة اخري و ان اختلفت الطريقة نظل نكرر نفس الخطا، محكومين بالتكرار، لذا ليس للامر اهمية كبيرة، كل هذا سيعاد مرة اخري ربما بنفس السيناريو و ترتيب الجمل، لذا لا يوجد وقت للحزن.
كانت نظرتها تفضحها مؤكد انها تظنّ أنّني غير مهتمّ، عينيها كانت سيئه في الاكاذيب، دوما ما كانت تفضحها و تخبرني بتلك الكلمات التي عجزت عن الإفصاح عنها..تمهّلت قليلا ..تنهّدتِ .. و اخيرا ها نحن علي مشرف النهاية !
لكني متاكد ان بها شئ مختلف هذه المرة، بنبرة صوتها اختلفت لست واثق، لكن هناك شئ غير معتاد بها، شاردت لثواني و كأنها تنظر إلي عالم أخر، تحولت نظرتها لنظرة زجاجيه، لم يكن بداخل تلك العيون من روح.
- تشربي إيه ؟
حاولت بكلمتي ان اجذبها الىِ لانهي تلك الحاله من الا فعل و هذا الملل الذي صار يغزو عالمي الخاص، حاولت دوما صناعت

عالم خاص لا يتسع الا لِي، انا من املكه و اتحكم بيه و ها هي تريد مني ان اهدم هذا العالم من اجلها.
اسوء طباع النساء تكمن في كونهم متوهمات، يتوهمون انهم قادرون علي اصلاحنا او علي الاقل فهمنا، لكن هذا محال، نحن فوضويين اكثر من الممكن، نحن من صنع الاله الحرب و عبدنا قديما و حديثا ها نحن نصنع الاسلحه التي صارت جزء لا يتجزأ منا حتي اصبح القتل و تمزيق الجثث امر متعاد و غير مؤذي لنا، تظن النساء انهم المعقدين، و هذا لانهم لا يمعنون النظر، فالنساء سطيحات اكثر من اللازم.
علي كل حال لم تفلح كلمتى فقد عادت ثانيه الي حاله الجمود.
لماذا كل هذا التحول الغريب ؟ الذي طرأ علينا، ربما التغير قادم بيننا لا محاله، حاولنا أن نأجله قدر المستطاع، حاولنا ان نخفي تلك التغيرات التي صارت بيننا، لكنها كانت اقوي من ذلك التجاهل.
النهاية قادمة لا محاله، نحن علي اعتاب نهاية فصول قصتنا، سوف نسطر فصل جديد لحياة كل منا، منفصلين و ان كنا نتشارك السرير و الجسد، منفصلين اللقب الانسب لنا، كنت اعرف كيف سيئول بنا الحال، عشت هذا الامر اكثر من مرة، في كل مرة اخبر نفسي ان النهاية ليست مؤكده، و لكن ياتي الانفصال ليسطرالفصل الاخير لعلاقاتي.

كنت اعلم اننا لن نستمر لمدة اطول من شهرين، كانت لا تشبهني او اشبها في شئ، السرير وحده من جمعنا سوينا و استطاع احتواء اختلافنا، لغة الجنس كانت اللغة الوحيدة التي استطعنا ان تحدث بها سويا.

كم من المرات التي اخذنا فيها قرار بالافترق، ثم ياتي الملل و الاشتهاء و بعض الحنين فانعود مجدداً، لم تكن عودتناالاسباب مثل الحب، الافتقاد او حتي الذكريات، بل كان الاشتهاء الاعمي، الرغبة التي تتملكنا و تجعلنا نسير في دروب لم تخلق لنا و لم نخلق لها، مثل ان نتواجد في حياة بعضنا، هي لم تخلق لتصبح في حياتي و كذلك انا، لكن الاشتهاء هو ما جمعنا، اللعنة التي اذا ماتملكتك صرت عبدها الذليل.

هنا و منذ اكثر من سنه التقينا، لا اعرف اذا كان هذا الامر نعمه ام نقمه، لكني مللت من وجودها الرتيب في حياتي، لم تكن اضافه او اى شئ يذكر، حتي في اوقات الغياب لم اكن افتقدها، كانت حياتي تسير بشكل طبيعي، لكن الاشتهاء وحده ما كان يذكرني بها نصفي السفلي هو ما كان يفتقدها.

عرفت عنها اكثر من اللازم، عرفت انها كانت منبوذه، مجرد شخصيه ثانويه بلا اي ميزه او سبب لتشغل حيز في حياة احد، لذا لم تجد شئ تقدمه لكل من طرق بابها الا جسدها، و ها هي الان تريد تغير دورها في العرض، تريد افساد المسرحية التي

نعيش فيها، لكن دوما ما كان ينقلب السحر علي الساحر، لقد اردات اكثر من الجنس، ارادت ان يصبح لها حبيب !
سنوات و انا اتحمل مرارة الرفض الاول لي، الرفض ليس سئ جداً، لكني حملت مرارة ان تحب من لا يحبك، هي الان تريد ان تذوق من نفس الكأس علي يدي، اعتقد انها قد شربت منه علي ايدي غيري، لكني لا استطيع ان اذقها من كأس، ليس لرحمتي دوما ما كنت احب ان اعملها بقسوة و جفاء، ولكني مازلت اعاني من الرفض، سنوات مرت و انا احاول مواجه هذا الرفض لكني افشل.
لذا لقد قطعت شوط كبيراً في انعزالي، احببت وحدتي، لم تعد تأتني تلك اللحظات التي تجعلني اتسأل لماذا انا وحيد ؟ لماذا لم احصل علي الحب الذي استحقه ؟ علمت جيداً زيف الحب و ادعائه، عملت لغة و سطوة المال، المال الذي يقرر من يحصل علي الحب و من لا يحصل، حتي و ان حصلت عليه فالمال وحده القادر علي جعل الحب يستمر او يختفي تحت وطأة الحياه و متطلبتها، لم اسمح لاحد ان يكسر وحدتي اي كانت الاسباب
اما عنها فهي بعد ان رفضها الكثير، لم تجرح او تعرف مرارة الرفض، كانت تشبه بائعين المترو لا يهتمون بالرفض ليس لسمجاتهم بل لفساد بضاعتهم، لكنها لم تمل من تكرار عرض نفسها علي اي احد فقط لكي لا تكون وحيده، لم تحب احد و اعتقد انها لم تحب

بالمقابل، لذا لا افهم لماذا تدفعني دفعنا الي رفضها و اخبرها انها مجرد عابرة مثلها مثل الكثيرات،ربما ارادت ان تُحب مثل باقي الفتيات، يا لغباء الفتيات يقتلن انفسهم لمجرد شعورهم بالغيرة او رغبتهم في الحب، فيقعن في شباكي و شباك غيري.

كل من عبر في حياتها لم يظهر منه الا جانبه الحيواني، فقط جسدها و الحصول المجاني هو ما شغله في علاقتها، كانت تعرف هذا الامر و لم ترفض او تمانع عرفت قواعد اللعبة، و تحركت في الدور المخصص لها.

الشهوة كانت ما يحركني نحوها، لم ارد ان اخبرها بتلك الحقيقة في البداية، فقد كانت البدايه جيده .. بل رائعه، الاهتمام، الونس، كل تلك المشاعر الحميده كانت بيننا، لكن الشهوة اقوي مني، اعرف انني منذ الرفض اصبحت حيواني، لا افكر الا في نفسي و شهواتي، و هي لم ترفض، ارادت ان تقطع شوط كبير في حياتها، ارادت شئ لا اعرفه من علاقتنا، و لم احاول تخمينه لانه سرعان ما اندثر و صارت مثلي حيوانه الشهوة ما يحركها تجاهي.

اذن ما نفع هذا اللقاء الغير مجدي، اتمني من كل قلبي الهروب من الحديث معها و منها هي شخصيا، لا فائده ترجوُ من تلك اللحظات و تلك الاحديث.

سنرحل، الكلمة الاقوي و صاحبة الصوت الاعلي بين جميع الكلمات التي قيلت و ستقال للابد، لذا لماذا لا نقولها بكل بساطة ؟

الرحيل سيظل هو الرحيل، لن تجزع و لن اجزع، سيبحث كلاً منا علي مراده، ستذهب هي الي أخر و ساذهب انا الي اخري، و نغلق هذا الفصل الممل في حياتنا، ليبدا فصل جديد رتيب اخر.
لكن عوضاً عن هذه النهاية لابد لنا من ان نتحدّث فى أمور لا أعرفها و ان أتخيّل أشياء و أتوهّم اخرى، و نظل نثرثر لانه هكذا يتم الرحيل و الفراق النهائي.
مملة تلك الفتاة اكثر من خطب الديكتاتورين و كل السياسين في العالم اجمع، مملة الي حد انها تجعلك تنفر من النظر الي وجهها، كيف قضيت في رفقتها كل ذلك الوقت ؟
اليوم ربما تبدو مختلفه، ليس للافضل بالطبع، لكن هناك حزن حقيقي بداخلها، حزن علي فراق شئ ما، ليس بالطبع فراقي، انا لا امثل اهميه ليها، بل حزن لشئ اثمن مني و منى وجودي في حياتها.
دارت عينيها في ارجاء المقهي، ثم نظرت إليّ في نظرات يملأها الشّك، تنتظرني لانهي ما بدائته هي، كنا متشبعين بتلك اللقائات العابره، اكتفينا بدورنا الثانوي الذي لعبناه سوياً في حياة بعضنا البعض.
لكن اليوم مختلف لابد ليٍّ من لملمت نفسي و وضع نهاية مغلقه انهي بها كل تلك الربكه التي احاطت بي و بحياتي، لابد لِي من استعادة التوازن في حياتي، و انهاء كل تلك الامور الغير مفيدة لِي

مثلوجدها في حياتي.
منذ سنه و نحن نتواعد، لم استطيع ان اصبح معها بشكل كامل، كنت دوماً ابتعد.
يبدوا ان من حقي الان ان اتسال لماذا ظللنا نتواعد طوال تلك السنه؟
ربما تكن الاجابة ان الحب لم يكن جمع بيننا، فالحب هو ما يدفعك لفعل شئ، لاخذ الخطوة التاليه، لذا بغياب الحب غاب عن علاقتنا المعنيفاكتفينا بوجودنا الثانوي، اخر الليل كلا منا يفرغ طاقته في حديثه مع الاخر، كنا مجرد فضفضه مريحه، اعرف عيوبها و تعرف عيوبي، كنا عرايا امام بعضنا فكانت اعترافتنا سهلة و الحديث لا يحتاج الي بداية او تجميل.
تتحدث علي علاقتها بفلان، لاحكي انا ايضا علاقتي بفلانه، كنا نفرغ شحنة الذنوب لنعود لنملائها بذنوب جديده، لكن التغير هو مصير الحياه، لعبة الاعتراف الجميلة صارت مملة، وبها الكثير من الغيرة، تحكي ليٍّ عن هذا او ذاك لتشعر بغيرتي لكني متبلد بكل بساطة لا اهتم، اخبرها ان هذا جسدها فلتهبه لمن تشاء، تثير كلماتي غيظها و جنونها، فتصيح بي و تظل تسبني في غضب، لكني استمر في تبلدي، علاقه رثه ككل شئ في حياتنا.
حاولت الهروب من نظرتها البارده لي، فاظللت ابحث عن شئ، لاشغل نفسي بيه، اي يجعلني اتحاشي نظرتها، اذا كان هناك

شئ امقته من كل قلبي، فانظرتها هذه ستكون اول الاشياء بكل تاكيد.

نظرة انك السبب في كل هذا، انت من جعل الامور تسير في ذلك الاتجاه، انت من اوصلنا الي ما نحن فيه، علاقتنا كانت رائعه لكنك من افسدها، و الحق انني لم افسد شئ، الحق انه لم تكن هناك من علاقه الاساس، لكل علاقه اساس و نحن لم نبي هذا الاساس، الجنس مجرد شهوة لحظيه، لا يمكن ان يبني عليها علاقه.

لذا ظللت ابحث بعيني عن شئ لاهرب من نظرتها، فاشغلتني لوحة مرسومه بشكل خرائي للغايه للريف الاوربي، الالوان كانت باهته، و النسب غير متزنه، كل شئ فيها خرائي حتي وضعها علي الجدار خرائي بشكل لا يصدق، الوان اللوحه ان جاز وصفها باللوحه غير مناسبه لون الجدار.

لكن من يهتم بالجمال في عالم يبحث عن الخراء في كل شئ، ليت من رسم اللوحه استعمل الوان جيده، فالمواد المزيفه التي صارت تملأ حياتنا علي نحو ما، اصبح وجودها يشعرني بالغثيان، ان تري جانبك السئ علي الدوام ليس بالشئ الحميد.

صار كل شئ مزيف هذه الايام حتي نحن اصبحنا مزيفين، مجرد ادعاء لشئ اخر غير انفسنا، ادعيت التحرر و هي فعلت فعلي و ادعدت التحرر، و ظل بداخلي قيود اصعب من أن تحل

بالادعاء، قيودي التي لن تقبل بالتحرر، مهما حاولت ان افعل، كانت قيودي ثقيلة، نشئت في مجتمع يضع كل شئ في قالب اما ابيض او اسود.

لم استطيع ان اكمل في لعبتهم، وقعت في فتنة الاشياء الرمادية، احببت ان اترك الاشياء لنفسها، اردت ان امتلك قاموس جديد انا من يضع فيه الاشياء و يعرفها، يكون لكل شئ وصف مختلف باختلافنا.

كنت مفتون بان اترك الاشياء تعرفني علي ماهيته و ذاتها دون تدخل مني، اردت ان اتخذ موقف الحياد لكني سقطت مع ذلك في متاهة التعريفات، لن تسقط القيود دفعه واحده، كانت القبلة الاولي لي هي ما اسقطتني في تلك المتاهة.

وثقت بين رغبتي و قيم لم اكن صاحبها لم تاتني فرصه لاختبارها بشكل جاد، الفتن تنكشف بدون انذار، لذا حين اتاتني الفرصه، سقطت القيم و القيود و اتجهت الي ما اريد و ما يشبع رغبتي.

لكن جزء صغير من نفسي ظل حبس تحت سطوة الشهوه و ادعاء التحرر، القيم التي تربيت عليها من مجتمع يجبرني علي سلوك نهج محدد، فايمدح و يتفاخر بان هناك من يخالف هذا النهج، ابناء الطبقة الوسطي هم اكثر الناس معناه بين جميع الطبقات.

الحيره كانت تعصف بي، اشعر بانني ضائع، لا استطيع ان اجد ارض تأوني، ابحر بين الامواج و انا لا امتلك الا لوح خشبي، دوماً

ما كانت لقائتنا تذكرني بتلك المتاهة التي اعيش فيها !
حينما كنت انهي مضجاعتها، كنت اشعر بالحزن و تأنيب الضمير، اشعر برغبة ملحة للبكاء و البقاء وحيداً، كنت اتركها و اذهب الي غرفه اخري، اجعلها مظلمه و ادخن و استمع الي صوت دنيا الوديدي و هي تغني عني .
"وحدة .. دى ليلة واحدة، و بعدهـا عرفت ايه معنى الغياب ..وحده .. بعيش فى وحده، فوق السمـا تحت التراب.. يـا ليـل .. ياليـل ياللى ما ليك اخر.. مليــت يا ليـل .. كاساتى علـي الاخر.. و شربت مسكرتش .. و عطشت من تانى.. لفيت و متوهتش .. و رجعت لمكانى».
كانت تمس كلمات الاغنية شئ بداخلي و كأن الوحده و الظلمة وحدهما ما كانوا يحتوني، و تلك الموسيقية الهادئه تشعرني بتحسن، كنت وحيد، و كلما زادت لقائتنا كانت تتوغل بداخلي مشاعر متضاربة، تارة اشعر بحبها، و تاره اشعر بضعفي، و تاره اشعر بدنوتي، و تاره اكرها.
لكنها دوماً ما كانت تطعني في كل شئ و في كل أمر، لا اعرف اذا كانت تتلذذ باحتقاري لها ام لا، لكني كنت احتقرها، احتقر شهوتي تجاها، لم اكن مدين لها بالاخلاص.لم اخلص لها يوماً، و هي لم تخلص لِي، عرفت عنها حكايات كثيره بعضها مثير و بعضها مهين.

كنت مجرد رقم من بين ارقام كثيره وجدت في حياتها، ارقام لا تعني لها شئ سوي الاشتهاء و تقديم التنازلات، كم هو لشئ حقير إن تشعر أنك مجرد رقم ليس لك اهمية يمكن استبدالك في أي وقت، حين تستهلك ستفقد كل شئ، ستنتهي سيطرتك عليها، كنت احتقر نفسي و احتقرها.

قطع صوتها السكون و تحدث اخيراً.

- هتفضل ساكت كده ؟

- لا بس انتي اللي ساكته، و محبتش اقطع حبل افكارك ؟

- تفتكر احنا ليه مش بنحب بعض ؟

- عشان احنا مينفعش نحب بعض !

- ليه ؟ ايه اللي ينقصني عشان اتحب كا بنت.

- العيب مش فيكي ولا فيا، بس احنا مش زي بعض.

- بقلنا سنة مع بعض، حاولت كام مرة تحبني فيها ؟

- ولا مرة.

- بجد ؟

- هكدب ليه، عمري ما شوفتك حبيبه، و انتي نفسك عمرك ما شوفتني حبيب، احنا كنا بنقضي وقت لطيف مع بعض، شئ مؤسف اننا كده، بس دى حقيقتنا، تفتكري ان اللي بنا كان حب.

- انت اوسخ شخص عرفته في حياتي.

- انا مش وسخ، انا مرآيتك، اللي بتوريكي قد ايه انتي وسخه.

- انا لازم امشي.
- صدقني مش همسك فيكي، انتي عارفه أن اللحظة كانت دي جايه جايه.
- علشان ليلي صح، كل ده عشان ليلي.
- لا علشان مليت، مفيش سبب او شئ يجمع ما بنا، اعتقد أن دي نهايتنا، القرار مش صعب و مش سهل، القرار نسبي لكل واحد فينا.
- انت أناني انا قدمت كل شئ ليك عشان علاقتنا تنجح.
- انتي قدمتي ده عشان مكنش عندك شئ تاني تقديمه.
جاء الجرسون، لتقديم الطلبات، متي طلبت القهوة ؟ و متي جاء اصلاً لياخذ الطلبات ؟ لا يهم، المهم انه جاء لينهي حديثنا، همت بالمغادرة، لم تنظر الي و لن تنظر، هي لم تحبني فقط احبت تواجدي، مجرد طيفٍ في حياتها الفارغة من كل شئ، لم تكن بائسه لكنها لم تمتلك ما يدفع الناس لتكن بجوارها، اعترف بين نفسي انني احببتها او بالاحري احببت تواجدها في حياتي، لكن لكل شئ بداية و نهاية.
لم اريد ان تكون نهايتنا مفتوحه، اكره النهايات المفتوحه فاهي تعطي دوماً مجال للعودة، و انا اكره الرجوع للماضي في شئ، احب النهايات الحزينه علي كل حال فاهي تعطي طعم و معني للحياه، اذا كانت الحياه نهايات سعيده فاذن ما معني رحلة

سيزيف و صخرته، لابد من المأساة لتكون هناك اسطورة تحكي.
كانت بجانبي تجلس فتاة في العشرين من عمرها، اكبرها ربما ببعض سنوات، انا في السابعه و العشرين، لكني ابدو اصغر من ذلك، البعض مازال يعتقد انني في بداية العشرين، تعقد الفتاه شعرها فلونكه، سمراء البشره، تلبس نظارة عدستها بيضوية الشكل، لا اعرف السبب لكنها ذكرتني بليلي و اين انتي الان يا ليلي يا جرحي الذي لا يلتئم.
ليلي الفتاة الوحيده التي احببتها، و لم تحبني، ذهبت اليها، اخبرتها بحبي، لم تجب، انتظرت يوم و الثاني، مضي اسبوع، و انا متلهف لجوابها، و هي لم تجب، حتي اخبرتني بالحقيقه بعين بارده و قلب متحجر، انت مجرد صديق، دور الحبيب لم يخلق لك، ليس لعيب بك، لكنك لست حبيب، بكل تلك البساطة، هناك ادوار خلقت لنا و ادوار لم تخلق، منها دور الحبيب لك، هذا ليس دورك يا طارق اسفه، لكنك لا تصلح لهذا ابداً.
لماذا عاودت الظهور ثانيه في حياتي ؟ كانت الساعه الثانيه بعد منتصف الليل، رقم غريب يتصل بي، اتحدث
- الو .. الو.
تمر ثوان في صمت...ثم صوت انثوي يتلفظ باسمي.
- طارق.
اعرف الصوت..لكني لا اتذكر صحبته، لم يمهلني الصوت لافكر،

باغتتني.
- انا ليلي.
صمتت بشكل لم اعتاده، انظر الي شاشة هاتفي جيداً.
- مين ؟
- ليلي يا طارق، نستني ؟
احاول أن أتمالك اعصابي، لا استطيع، الصمت يتمكلني، المفجأة ليست في مقام المعجزه لينعقد لساني هكذا، لكنه انعقد رغماً عني، اتذكر مرارة الرفض، تقتحمني الذكريات، اشعر بخذلاني، حزني يتجدد ثانيه، اتذكر عينيها و هي ترفضني في ثبات وجمود، دور الحبيب لم يخلق لك!
- ازيك يا ليلي.
- تمام، أنا اسفه اني بتصل متاخر، انا اترددت قبل ما اكلمك، حقيقي محتاجه اتكلم معاك، لازم اشوفك يوم الاتنين الجي، الساعه خامسه، فاكر الكافيه اللي كنا بنقعد فيه هستناك هنا، سلام.
لم تمهلني فرصه للموافقه او للرفض، القت كلمتها و فرت هاربه، الان انا وحيدي من سيقرر، هل اذهب ؟ ام عليٍّ اغلاق تلك الصفحه نهائياً من حياتي.
كان الرفض فرصه ذهبيه لاهرب مجدداً، لانغمس اكتر في شهواتي و حياتي الحاليه، كانت السبب الرئيسي لهذا التبدل الذي حدث

لحياتي، الرفض، و مرارة ان تحب من لا يحبك، كان لابد لِي من التبدل حينها، الطيب احب دور الشرير، الطيب استطاع ان يصبح خبيث، ترك العابد مصليته و ذهب الي الماخور، فقط لكي يلتئم ندبه و مازال ندبة ينذف والدم يكسوه اكثر فاكثر.

قاومت رغبتي في الهروب و ذهبت اليها، تَبدلت و تَبدلت، رايتها جالسه بعيداً عن باب المقهي، كانت تكره الاضواء دوماً، هي من جعلتني اعشق الليل، احببت عزلة الليل بسببها.

تقدمت لثواني، سحبت كرسي للجلوس، سلمت عليها، نظرتها كانت حاره ليِّ، اخبرتني انها تشتاق اليِّ، تشتاق الي الشخص الوحيد الذي استطاع ان يفهمها، لم تأثر فيِّ كلمتها، كنت اشعر أنني اشاهد فيلم تسجيلي، لا اشعر بشئ اتجاها، أستأذنت لدخول الحمام، غسلت وجهي عدت مرات بعنف، شعرت بانني احلم، نائم، هذا ليس أنا، أين اختفت مشاعري تجاهها ؟ كيف اضمحل كل هذا الحب ؟ عودت اليها، طلبت قهوة، بداءت في لف سجائري، نظرت اليِّ في أستغراب.

- أنت اتغيرت يا طارق.

صمتت لثواني.

- مفيش شئ بيدوم علي حاله.

- مكنتش اعتقد انك بتدخن.

- أنتي بس اللي غايبه بقالك كتير، مفيش حد بيفضل علي

حاله، التغير سنةُ الحياه، بنحب اصناف اكل لحد لما بنشبع منها فمبنطقش نكلها تاني، التغير هو السبب اننا لسنا عايشين.
قولت جملتي و ارتسم علي وجهي شبح بسمة ساخره.
- حبيت ؟
- لا عرفت بنات كتير، الحب موضة قديمة اوي، ده شغل مراهقين، و انا كبرت علي الحاجات دي، و أنتي اخبارك ايه ؟
- انا اتجوزت من عمر، فاكر عمر كان معانا في الجامعه، بس بعد سنه جوازنا فشل.
- امممممم، خلفتي.
- لا، كنا متفقين أننا منجبش اولاد في اوله سنتين جواز.
لم ارد الرد، صمت، فاشردت هي.
- و أنت بتعمل ايه كده في حياتك ؟
- انا عايش، مدير في شركه تسويق، بليل بخرج، و لما بمل من الناس بنزل اتمشي مع الكلب.
- انت عندك كلب !! راحت فين فوبيتك من الكلاب.
- قولتك مفيش شئ بيفضل علي حاله.
جاءت القهوة، اشعلت سجائري عرضت عليها سجاره، فاقبلت، لم اعلق، و لم اهتم بالسؤال، نظرت اليٍّ في استغراب، و كأنها تنتظر أن أسال لتقص عليٍّ قصتها، لكني حقاً لم اهتم.
لم اعد اشعر بأتجاها بشئ، هي و العدم سواء بالنسبه ليٍّ، اعرف

جيداً انني ساندم علي تلك اللحظات، اعرف انني سالعن نفسي علي أضاعتها ثانيه، لكنها من اضعني في البداية.
أحببتها بصدق، احببتها من كل قلبي، ملأت عيني، لم ارد سواها، لكنها كانت قاسية معي، فضلت نفسها، الأن ليس من حقها شئ، لم اعد لها، ربما اتخذتها حجه لانهاء علاقتي السابقه، لكنها كانت مجرد حجة.
حدقت في ارجاء المقهي، لم يتبدل كثيراً، ست سنوات مضت و هذا المكان ثابت لم يطرأ عليه اي تغير، ماعدا استف الخدمه، وحدهم من تبدلوا، ادرت عيني في ارجاء المكان لثواني، حتي وقعت عيني علي تلك الطاولة، هناك تبدلت، خذلت، دور الحبيب لم يخلق ليِّ، خمس سنوات مضت و انا اتذكرك، تحشيت المكان قدر الامكان، تحشيت أى مكان يمكن لنا أن نلتقي فيه، اخذت طعنتك و مضيت.
لماذا تبدلت يا ليلي ؟ لانني ادركت الامر، لم أكن سئ بالقدر الكأفي لانسابك، الان أنتي أتيه اليِّ، تريديني من جديد، تذكرتي أن هناك من احبك بصدق، تريدي أن تشعري بالحب و الاحتواء، لتتركيني ثانيه، اللعبه تغيرت، و القواعد انا من صار يضعها بدلاً منكي.
انهت سجارتها، لم اتحدث و لم تتحدث، مرت ساعه ثقيله من الصمت، نظرت اليِّ، تنتظر أن اتحدث، تريد طرف خيط لتشدني بيه اليها، نظرت الي عيني حاولت أن تجد نفسها فلم تجد نفسها،

لم تجد شئ، لقد أنطفت لمعة عيني، الان أنتي لا تفرقي عن الاخريات في شئ، تعلمت أن اكون وحيد، احببت عزلتي، توحدت معها، و انتي تريدين مني ان ينهدم كل هذا، لماذا سافعل هذا ؟ سمحيني، لكن وجودك لن يفيدني بشئ.

- ليلي سمحيني لازم امشي. نطقتها و انا بين حاله من الحزن و السعاده، كانت هناك نشوة غريبة تسير في عروقي، هناك شئ ينصلح في داخلي و انا انطق كلماتي.

- و انا كمان.

- بس أنت بخير ؟ او مره اشوفك ساكت كده، ست سنين غيروك كتير.

- مش قولتلك مفيش شئ بيدوم علي حاله.

قولتها و ادرت ظهري لها و لماضي كنت قبل الان احن و اهرب منه، الان انا متصالح معه.

٢٠١٤/٨/١

المنشد

لم يكن يتوقع مراد كل هذا التصفيق، الحشد هائل فاق كل التوقعات، الحملة الان في اشد مراحلها و قوتها، قريبا سيحسم الانتخابات لصالحه، لن يقدر احد علي منافسته.

هذا الحشد غير مبسوق من قبل الجماهير الذين احتشد لسماع حديثه فى اطار حملته الانتخابيه للترشح لمنصب رئيس الجمهورية ، وقف الجميع يهتف بأسمه و يحيي بالاعلام التي طبعت عليها صورته و شعار الحمله.

عندما فرغ اللقاء تنفس الصعداء، فقد ازيح حجر ثقيل عن صدره ، جلس فى سيارته السوداء من نوع المرسيدس.بداء يحشوه غلونه و يدخن، حينها تذكر الليله التى غيرت مجره حياته، عادت به الذكريات الى ايام شبابه حيث كان احد من يوصفهم الاعلام بجيش القرود.

كان وصف (جيش القرود) صاحب سمعتة سيئة في تلك الايام. فبعد عدت حوادث و اضرابات، اودت بموت اكثر من ٢٠ الف عامل و طالب، اصبح هذا الاسم سئ المعني في نفوس العامه و الفقراء، لم يعرف احد من هم جيش القرود و ما هي مطالبهم،

فقط كانوا يشعلون النار في المباني الحكومية و يكتبون علي المباني بالاسبري الاحمر (جيش القرود).

اتهم الكثير بالانتماء الي جيش القرود، و عذب الكثير، حتي جاءت انتفاضه عمال المناجم لتنشر فوضي عارمه في ارجاء البلاد، الموت ورائحه الجثث المحترقه و المباني المتفحمه، الرعب و الجحيم كان قد مر علي الجميع و ترك اثاره في ملامحهم و طريقة حياتهم.

استطاعت السلطة استعادت السيطرة مرة اخري بشق الانفس، لم يعرف احد كيف حدث هذا ؟ لكن كل شئ انتهي فجأة و ظهرت الاعترافات بان السبب هو جيش القرود، و من ذلك الحين ذادت صلاحيات السلطة دون أي حديث عن الحرية او العداله.

جيش القرود او بقاء السلطة، الخيارين الذين وضعوا امام الشعب، و الشعب بالطبع يقبل بالحياه في أي شكل مهما كانت.

انتشرت بعد ذلك اقاويل عن ان جيش القرود كان مشكل باوامر من السلطة، لكنها ظلت اراء متداالة، كان مراد قد شهد علي تلك الاحداث حينما كان ابن العاشره. لذا لم غريب عليهم بان يسارع الاعلام بوصفهم بعودة جيش القرود مرة اخري، تحدثوا عن المؤامرة، الاموال الخارجية، الخيانة.

الحرية و الديمقراطيه و التغير، كانت هي املاهم الوحيده، لم يحملوا السلاح او حتي العصا، فقط طبعوا طلابتهم في اوراق و ظلوا يوزعها علي الشعب، بدأت التظاهرات تحصل علي القوة،

الشعب صار يدعم التظاهرات، منذ ثورة القرود الاولي، الاحوال تدني، الحياه اصبحت جحيم، لذا لم يجد الشعب من ضرر بدعمه لتلك التظاهرات.

كان مراد اكثر الشباب ايمأنا بالحريه و العداله و الديمقراطية، هذه الجمل و الشعارات كانت كل ما يدور فى خلده، يحفظها عن ظهر قلب و يرددها فى سعاده، كان يشعر بالعنفوان و تلك الثقه بانهم فى صدد فعل عظيم و تغير شكل الحياه المألوف، كانت تلك ايام الشباب التى لم يبقى منها سوى الذكريات فقط، الحلم كان يسبق الحقيقه حينها.

الاحلام تتبلور، تنبثق الازهار فايزداد الايمان بأن هناك أمل و النور سيسطع، الان لم يعد من تلك الايام سوي الذكريات لقد تبدل من حال لحال، لم يعد كما كان، لم يبقى من هذا الثائر سوى الشكل، لقد علم أن زمن الثورات قد ولي و صار موضي قديمه، لقد انقضي عهد الشيوعية و هذه هو عهد الرأسماليه، ام عليه القول ان الحياه تبتسم فقط للذكاء، و سيظل الودعاء الطيبين كما هم يكافحون للبقاءو هو و امثاله يعشون في رغد و رفاهية بلا حدود.

العالم لم يعد يهتم بالفقراء الجملة التي احتفظ بها بداخله دوما، الاهم أن يزداد الاغنياء غني، و الفقراء لهم الجنه بالطبع، فلماذا اذن يطمعون في الدنيا ؟ في هذا العالم لا يوجد احد يعبأ بشئ

الا نفسه.
الحياه عرض و طلب، عليك أن تقدم شئ لتحصل علي أخر، عليك أن تقدم المال لتحصل علي السلطه، عليك أن تقدم الخنوع لتحصل علي الحياه، اللعبة واحده حتي و أن اختلفت أشكلها، نحن نسير في دائرة مغلقه، تساويت فيها الاعمده في الطول فاصبحت تخنقنا، لكننا عاجزين عن أن نطل برؤوسنا للخارج و الا نسحق من دوران الدائرة.
ذهب عهد الاحلام البنفسجيه، ليحل محله عهد الاموال و المناصب، ذكرته هتفات الجمهور، بليالي هتافات تلك الايام حينما كان يقابل الرصاص بصدر مرحب، لم يهاب الموت، حلمه اكبر من الموت في ذاته.
الموت سيقتل فرد، لكن الفكرة ستظل تحارب، ارتسمت علي ملامحه أبتسامه ساخره من تلك الافكار التي كانت تسيطر عليه في تلك الفتره، الان يتلقي رافق المظاهرات و الميادين فى مناصب مرموقه و الكثير من اصدقائهم مازال يقبعون فى السجون، اصدقاء كانوا عون لهم، يؤمنون بنفس القيم، الفرق بينهم ان هؤلاء عرفوا كيف ينجون من الطوفان، و يتنازلون عن كل شئ، ليصعدوا درجات سلم مغطي بدماء و جثث ابناء وطنهم.
الان صار مراد كهلاً، لا يملك الكثير من الصحة، تشعب في دروب السياسه، حتي صار قطبا رائسيا فيها، اصبح المتحكم الوحيد في

اللعبة، عنده تتوافد كل الصفقات، يمتلك كل خيوط فى الخفاء.
عاش ايام كثيره فى الشوارع و الميادين يحلم بالتغير هو و اصدقائه من اصحاب الفكر اليمينى واليسارى و حتى الليبرالى كانوا يشكلوا جبهة قويه فى وجة السلطه، مرت الليالي ما بين الكر و الفر و الموجهات مع الشرطة، عاد جيش القرود من جديد لكنه شكل من ابناء الوطن لنجاة الوطن علي عكس الجيش الاول.
شهدت الايام الاولي هدوء، حتي بدأت تتصاعد الاحداث، فتسارعت ماكينة القتل، و ظل يذهب ضحياتها اكثر من خمس اشخاص يومياً، لذا لم يستطعوا التراجع ظلت احلامهم و الدماء التي سفكت علي الاسفلت من اصدقائهم و منهم اقوي من القتل، فظلوا يتقدمون اكثر و اكثر الي الامام، و كلما كانت الخسائر و التضحيات تتزايد كان يصعب التراجع، لم يكن امامهم الأ المزيد من التقدم و تقديم التضحيات.
مر شهرين على اندلاع التظاهرات و مراد لا يفعل شئ سوى الهتافات و التظاهر و الاشتباك، حتى صار معروف باسم المنشد لانه اكثرهم حفظا للاغانى الثوريه و احسنهم فى الهتافات.
كان في خضم الالحتامات ينظر الي صديق عمره طه و يبتسم و طه ينظر اليه و يخبره.
- التاريخ ضمن الغنايم و بيكتبه الكسبان.
فاتنفلت منه بسمته و يشعر باقتراب النصر و نجاح ثورتهم،

كان طه هو مصدر الامان لهُ، عشا معاً منذ الصغر، مضي علي صدقتهم اكثر من عشرين عام، اصدقاء لا يفرق بينهم شئ، لا الدراسه ولا العمل، حتي الافكار كانت شبه واحده، كانوا دوماً سويا، لا يفرقهم شئ.
حتي في صارعتهم الصغير الخاصه كانوا لا يفترقون، فقد خاضوا سوياً صارع طويل مع اهل حيهم حين اتهموا طه بالتحرش بزوجه المعلم علام تاجر الاثاث، لكن مراد و طه استطاعوا ان ينجحوا في صارعهم مع اهل الحي، و اظهروا كذب هذا الادعاء، و الان هما يحربون السلطه لتكذيب ادعائها انها موجود لصالح الشعب.
حتى اتي ذلك اليوم و جاءت تلك اللحظه التى القى القبض على مراد و تلك الطلقه التى اخترقت جسد طه، لم يعلم من اين اتت ولا من اطلقها، كل ما يعرفه هو ما راه بام عينه، حين ساد الصمت لثوان و نظر الى طه إذ بتلك الطلقه تخترق صدره، ابتسم في البداية و اخبره انه بخير، ثم امسك صدره، و اخبره بشعوره بوخز في جسده، حتي بداء الدم في الانسياب، بقعه حمراء تمتد لتشمل ملابسه.
و طه يحاول ان يتماسك، لكن جسده خر سقطاً، يحركه مراد لكنه لم يستجب، انتقل الي رحمه الله، حينها انهارعالم مراد، ثم وجد ان كل شئ فقد معناه.
بكي، و سب، و هتف،و الجميع صامت، يحاول مراد مراراً أن

يجعله يتحدث، يحرك يده، ينظر الي عينه الناظر الي اعلي، يبكي علي صدره، يضمه اليه اكثر و اكثر، يصيح طه، ينظر الي رفاقه غير مصدقه ما يحدث و ما حدث.
تلقي ضربه علي قويه علي راسه، فاسقط علي صدر صديقه طه، و شعر بايدي تحملهُ، استيقظ و هو لا يعرف اين هو و لا كم الساعات التي ظل فيها غائب عن الوعي..
حين بدأ يستعيد وعيه ظل يتذكر تلك الرصاصه التي تخترق جسد طه و هو عاجز عن اسعافه، او تقديم يد العون لهُ، حينها تذكر تلك المقوله التي كان يرددها النظام ان ثمن كل شخص هنا مجرد طلقه، طلقة باستطاعتها ان تكتب اخر سطر في حياتك بمشئيه القناص و النظام.
لم يدري ماذا حدث ؟
ظلت تلك اللحظة التي فقد فيها طه هي كل ما يتذكره، حاول أن يعرف اين هو، لكنه لم يتمكن من الرؤيةفالمكان مظلم بشدة، الجو شديد البرده، و كان هناك ماء يبلل جسده، وشعر بالموت حينها، كانت جميع اعضائه تؤلمه و بشده.
أكثر ما جعل الخوف يتسلل لنفسه هي اصوات التعذيب و الصراخ المنتشره و تلك الضجه التى تصعد من الاشئ حيث تملا اذنه و يقشعر جسده في تلك الظلمه، استطاعوا ان يجعلوا الخوف يتغلغل بداخله حتى صار منكمش لا يعلم متى ياتى دوره

للحصول على هذا العذاب، لقد جاءت بيه الاقدار الي الجحيم.
مضي اليوم الاول عليه و هو صامت لا يتحدث حتي مع نفسه، كان التعب و الاعياء متملك منه، فاغفي قليلا، حتي استيقظ علي صوت خافت من وراء القضبان بان هناك وجبه لهُ و عليه التهمها، كان النور شحيح جداً فقط ياتي من اسفل باب الزنزانه، كان للطعام رائحه مقرفه جدا، تلك الصحون لا تحتوي علي طعام بل هو بقايا متعفنه.
لم يستطيع السير لذلك اختار الزحف على بطنه، ألم معدته جعله يلتهم هذا الشئ العفن، فضل الاشتمئزاز على الموت جوعا، اراد ان يحيا مهما كلفه الامر.
في البدء الامر لم يعرف دافعه للبقاء، كان الموت رحمه لهُ عن وضعه الحالي، السجن المظلم و الهواء الثقيل الرطب، لقد عزلتحت الارض، عرف انه الان جليس الاموات، فكر فالا يطل الضيافه عليه ان يصبح احدهم عما قريب.
لكن هناك شئ يخبره بان عليه النجاة، يدفع للبقاء، هناك شعور يتملكه يريد أن يحيي مهما كلفه الامر، يريد أن يثأر و ينتقم من منّ قتل صديقهُ و زج به فى تلك الضلمة و هذا الجحيم.
مضت الايام و لم يطلب للاعتراف او للتحقيق، لا يستطيع معرفة مدة بقائه، الايام تشبه بعضها، لا يعرف متي يكون النهار و متي يكون الليل، الاوقات تلاشت هنا.

حتي نفسه قد تلاشت، صار شبحاً، شخص اخر، يفعل أي شئ للخروج من هذا الجميع، كان يمكن أن يعترف علي اصدقائه و عن نفسه بتهم من محض خياله، لكنه لم يطلب للتحقيق، حتي وجد نفسه معصوب العينين، و انتقل الي سطح الارض مجدداً، لا يعرف من أين أتي و الي اين جاء ؟ لكنه علي كل حال سيري الشمس.

في اليوم التالي استيقظ مع اشراق الشمس التى ملاءت الزنزانه فاشعرته فانه يحترق و جعلت جسده يتصبب عرقاً، شعر انه قد توفي و ذهب الي النار مباشرتاً، حتي فتحت الزنزانه بصفير مزعج لقدم مفصلات الباب، و تردد صوت غليظ فى ارجاء الزنزانه بجمله.

- اطلع بره يا مسجون.

كان المتحدث رجل ضخم الجسد، لم يتبين كامل ملامحه كان الممر مظلم بشده رغم اشعة الشمس التي تسربت الي الزنزانه، يرتدى زى اشبه بي زى الشرطه ولكنه غريب بعض الشئ فى الونه و انواع التسليح التى بحوزته.

وجد مراد نفسه فى سجن بداخل صحراء شاسعه المساحه، اصطف المساجين فى صفوف و دقت الاجراس لتعلم بقدوم شخصية هامه، لم يعرف ماذا عليه أن يفعل ؟ فانهال عليه احد الحرس بالضرب، ثم اصطف في الطوابير، ليأتي المامور الاسوانى،

رجل في العقد الخامس من عمره، جسده ضخم متناسق ناتج عن ممارسته للرياضة باستمرار، يرتدي نظارة شمسيه تليق ببذلته الانيقة بشكل يدفعك للانتباه و التسأل كيف له يرتدي مثل تلك الملابس الانيقة في هذا المكان؟

القى خطبته فى هدوء مخيم على الجميع، لا احد منهم يصدق ما يحدث، الصدمه هى من جعلتهم يتقبلون الامر فى البدايه ثم ازيلت الصدمه، فعلموا الحقيقه، لقد اصبحوا في عداد الموتي، عما قريب سيدفنون هنا، بلا اسم او تعريف هم مجرد جثث حين يملون من تعذبهم و اشباع ساديتهم عليها، سيقتلون و يدفنون و كانهم كلاب ضاله.

كانت كلمات الاسوانى متكرره على مسامعهم من انهم متمردين، خونه، عملاء للخارج، اتفاضة جيش القرود الثاني، تلك الاتهامات و الكلمات التى تتردد على مسامعهم فى القنوات الفضائيه.

لم يتمهل الاسواني او يترك مجال لقول اخر، فور انتهائه من خطبته غادر على الفور، لكن حديثه حمل الكثير من المعانى و لغه صريحه بانهم هنا سيشاهدون الجحيم بام اعينهم.

مر شهر كامل عليه فى ذلك السجن، تعرف على بعض الوجوه مما كانوا معه فى التظاهرات لكنه لسبب غير معروف فضل الصمت عن الحديث، كانوا يبدون كالاموات لا يسمع لهم ضجيج، لا احد يصرخ او يتحدث كانوا كل ما يستطيعوا فعله هو الهمس فقط،

تلاشت الشخصيات و صار الجميع اغراب عن كل شئ.
مضت سنه كامله لم يعلم احد شئ عن العالم الخارجى، تبدلت حينها الشخصيات عما كانت، هنا سقط و انعدم الامل، الاحلام رحلت عن اعينهم بلا عودة، ازيلت الغمامة هنا الموت يخيم عليهم، الجميع منتظر الموت لينتصر علي السجن، لكن لا احد يملك الشجاعه الكافيه في أن يذهب للموت.
تبدل مراد عما كان و معها تبدلت افكاره ،لم يعد يؤمن بشى من افكاره الثوريه، الاصلاح ، الديمقراطيه، العداله، المساواه، الحريه، مجرد كلمات حشت بها الكتب للبيع لا اكثر، من كتب تلك الكلمات و من ينادي بها لم يكتبها في السجن او علي الاقل لما يري ما يراي هنا.
لماذا انساق الي هذا السجن دون غيره ؟
ظل هذا السؤال يشغله حتي علم انه كان يوجد جواسيس بين صفوفهم بعضهم ظنه صديق، حتي انه تعرض للضرب من الشرطه و سحل حين دافع عن احدهم، حينها شعر بالعار اراد ان يبصق عليهم لكنه بصق علي مرآته.
هو ... هو، فقط من ترك نفسه فريسه سائغه لهم، لم يكن عليه ان صدق درويش حين قال «ان علي هذه الارض ما يستحق الحياه» لو انه فعل مثل ما فعل صديقه حسين، لكان الان في احسن حال و كان طه معه يمرحون ثلاثهم.

لكنه عوضا عن هذا تمسك بالشعارات اكثر و اكثر، قرر حسين الهروب و المغادة اليأس كان يتحكم فيه، فلم يجد امامه سبيل الا البحر، و قال قول السابقين الحوت خير من الدود، الهجره الي العالم الاول فتنته اغرم بيه، راي الجنة فيه فاطلبها و اهذ االهجرة الغير شرعيه وسليته، لذا تحرك و لم يتوقف امام أي شئ.

اخر ما دار حوار دار بينهم كانت كلماته عالقه في ذاكرته «انا اتخنقت، الهوا بقي تقيل علي صدري، انا عايش هنا و تملي مطاطي، خايف طول الوقت و من كل الناس، عارف انا نفسي ارفع راسي لو مرة بدون ما اخاف من قلم يجي علي وشئ يقولي وطي تاني، مش عاوز اعيش خول وسط مخصيين»، حاول ان يعيده عن تلك الطريق لكنه فشل، كان حسين قد قرر الطريق و لم يعد جدي معه أي شئ.

ظل يكرر تلك الكلمات علي مسامعه لفترة طويله من حياته، ان هذا الجحيم خلق فقط لاصحاب الاحلام، من صدقوا الشعراء، من امنوا بالانسانيه و الانسان، من يؤمن بالعالم الاشتراكى و حقوق البسطاء في الحياه.

البسطاء الذين تركوه ليموت هنا و يتعفن، ليستمروا في حياتهم، لقد اضاعوا كل شئ و تركوا الدماء تضيع سدي.

صدق صديقه المتشكك حين قال ان الرهان دوما علي ذاكرة البسطاء ينجح، لقد فاعلها النظام مرة و سيكررها الاف المرات.

لم تعد جملة المجد للمجهول، تطرب الاذان صارت قديمة و مهمله فليموت المجهول المغفل لنحيا نحن، البسطاء ليسوا الا الذراع الاقوي للنظام لارغام بعضهم البعض علي الخنوع.

الحقيقه كانت قاسيه و مؤلمه لكنها الحقيقه التى جعلته يستطيع ان يحيا هناك و فى الخارج ، جعلته غير قابل للتدمر اقوى من ذى قبل، وصنف بعد ذلك بين الناس خلسه بالرجل الذى لا يقهر.

علم حقيقة و معني كلمة المصلحه، علم كيف يدير الادوار و ينتقل بينها بكل خفيه دون ان يلاحظه احد، يستطيع ان يتبدل من شخص الي اخر ليحقق مصلحته فقط لا يهتم باي شئ اخر مهما كان، حتي و ان كانت مصلحته تعني السير علي دماء الاخرين..

كانت المصلحه هى كلمة السر التي فتحت كل الابواب المغلقه امامه، كانت اللعبة سهله لاتكن احمق افعل ما تستطيع عمله لا تقحم نفسك فى المشاكل، انت لست بطل او اصحاب رسالة.

فقط وسيط دورك ان تجمع بين الاطراف، عندها تحصل على الامتيازات، كن وسيط لتربح من الجميع، لا تكن احمق لتظهر بمظهر البطل فالابطال دائما ما يقتلون ليحيا الاشرار، كانت هذه الافكار المقدسه التى جعلته قادر على الحياه.

فى اواخر السنه الثانيه التى امضها في الواحه، صار الاسوانى صاحب جسد ضعيف هزيل، انتشرت الاحديث و لم يعرف احد ماذا

اصاب الاسوانى، الجميع يعلم انها النهايه، القانون هنا لا يسمح بالمغادره، هنا عالم لا يسمح لك ان تغادره سيراً على الاقدام.
الرحيل قادم، رياح التغير قادمة، تتسارع الخطوات، تتبدل النفوس، السلطة تختبر الناس، الصحراء تبدل الشخصيات، الملك عما قريب سيذوق السم، ليحل محله من دس لهُ السم، ليصعد و يملك ثم يهرم ليرغم بعد ذلك علي تناول ذات السم.
عما قريب سيصبح الاسوانى مجرد ذكرة و اسطورة بين السجناء و سيتم التخلص منه فى اقرب فرصه، صار نائبه عباس هو من يتولى زمام الامور، لقد تقلصت صلاحياته، السن و الهرم يقلص الانسان الى الا شئ، عديم الجدوى، عديم النفع، يسهل عندها التخلص منه بدون ان يجد احد العذر لبقائه.
عرف مراد الاخبار، سيدوس السم للاسواني في الطعام، عندها استطاع التقرب و اخباره بالامرو انقذ مراد الاسواني، اعجب بيه الاسواني، حينها علم أن مصيرهم مرتبط ببضعهم البعض.
لن يغادر الاسوانى الواحه منفرداً، لن يقوى على الطريق، و لن يستطيع ان يحيا مراد هنا اكثر من ذلك، لو استمر سجنه سوف ينهى عذابه بالانتحار.
كان الاسوانى احد المغضوب عليهم من الحزب الحاكم، و لكنهم لم يستطيعو القضاء عليه لذلك نفى الى الواحه، كان يمتلك الكثير قبل القدوم الى الواحه، امتلك السلطه و المال، كان الاقرب

للسلطه من الجميع، لذلك دارت المناوشات و شن البعض حمله ضده ليبتعد، هكذا قدم الى الواحه، و ظل فيها حتى اوشك علي الهرم، حينها علم ان لابد من احد يستطيع ان يتحرك معه، احد مثل مراد، لقد قراء سجله، عرف كيف يفكر ؟ و متي يفكر ؟ لم يصبح مراد شبحاً تماماً هنا، امتلك يوماً روح ثائره و ظلت تلك الروح موجوده تحت عذاب الواحه، لذلك علمه كل ما يعرفه عن السياسه الحقيقه ، كيف يستطيع الوصول الى السلطه و كيف تمتلك مقومات الوصول بدون ان يمتلك احد عنقك .

السياسه التى لطالما رفضها مراد كانت هى الحقيقه الوحيده في هذا العالم الزائف، السياسه هي انعكاس للواقع، فاذا كان الواقع قاسي، تتبعه كذلك السياسه، لذا افاق مراد و علم انه لا احد يبحث عن حق البسطاء، الكل يبحث عن مجده الخاص.

اصبحا صديقين فى مده قصيره ، حتى جاءت اللحظه الاهم فى حيات الاثنين، وضع الاسواني الخطة و توصل مع كافة الاطراف، الظروف مهيئة للهروب، لكنه لن يهرب منفرداً، معاً يمكنهم النجاه من هذا الجحيم.

نفذنا خطته و استطعوا الهروب و النجاه، لم يلاحظ احد هروبهم ، كان الاسوانى يعلم كل شئ عن موقع الواحة، و استطاع بما بقي لهُ من نفوذ في تزيف موته، و موت مراد، فرح عباس، الان اصبح الرئيس الفعلي للواحه، فور الانتهاء من الدفن، قام بعض

المخلصين للاسواني، بمساعدته و مده بعربة و طعام و ماء للرحلة، لم يصدق مراد نفسه حين خطت العربة علي اسفلت العاصمة، لم تتبدل العاصمة عما ذي قبل، كل الاشياء ظلت كما هي، لا جديد يذكر، دهنت بعض الاماكن كا دليل علي التطوير.
ذهبوا الي احدي شقق الاسواني، استطاع الاسواني بالاعتماد علي دائرة معارفه التي ظلت قوية في الظل بتزييف شخصية مراد، ليولد من جديد، و يبدأ يشق طريقة في عالم السياسه و من خلفه الاسواني يتحكم في كل شئ في الاخفاء.
وجد مراد ان الامور لم تتغير في الحياه السياسه منذ اعتقاله كل ما حدث هو اخماد بشارات الثوره التى شارك فيها، و تناست الناس كل ما حدث و كإن لم تحدث ثوره هنا، و كأن هؤلاء الشباب لم يفقدو اروحهم او اطرفهم من اجل حياه افضل للجميع، عندها تذكر طه فادمعت عينه بدون قصد، ثم صدق من قال ان المجتمع قادر علي نسيان كل شئ ليفوز باستقرار وهمي، فاكتسي وجهه بابتسامه ساخره.
مرت سنه على النجاه من الواحه استطاع فيها الاسوانى ان يصنع إنسان جديد من مراد، كانوا شركين فى كل شئ ، حتى اتت الفرصه لهم الساحه فارغه من الاحزاب و البسطاء قد فاض كيلهم من اليسار و اليمين، حينها سارعوا فى تشكيل حزب سياسى، امكانهم بفضل ذكاء الاسوانى تشكيل الحزب و الاتيان بمن يستطيع الاداره.

استطاعوا جذب الكثير من الشباب المتحمس، قاموا بتدربيهم جيدا و تاهيلهم للعمل السياسى الحقيقى كنا يعلمان جيدا انه لابد ان يكون لديهم سياسين حقيقين كيمكنهم المنافسه.
استخدم فى الدعايه عبارات رنانه تتحدث عن التغير و الديمقراطيه و العداله، و استخدم بشكل ما ديمقراطيه حقيقة بداخل الحزب، حتى تمكنو من صناعةحزب سياسى حقيقى نوعاً ما.
كنايعرفان كيف تدار اللعبه و تم الالتزام بقواعدها، إن لم يكن لك قواعد او جماهير عليك بالذهاب الى الكفور و النجوع و البدايه من المحليات حتى تصل الى كرسى الرئيس.
كان مراد فى نظر الفقراء الفارس الذى لا يخشى شئ، كل ما يفعله من اجلهم و من اجل حياه افضل لهم، كان فارسهم فى العصور المظلمه جسد امامهم اسطوره روبن هود، و استطاع ان يعيد سيرة بنى الهلالى و ينتشلهم من تلك الظلمه التى تملكتهم و استطاع ان يزيح تلك الغمامه التى منعت عنهم نور الشمس، و ظل هو رجل النظام ضد المعارضه من يعمل فى الخفاء ليفتت المعارضه الحقيقه ولا يبقى سوى المعارضه الهاشه التى لا تفعل سوى السباب امام الكاميرات.
لم يكن يعيبه انه قد جاءبين اغبياء يتنزعون على الفتات الملقى اليهم من السلطه، لم يريد ان يكون مثلهم، هم لم يدفعوا ثمناً للحياه، بعكسه فقد دفع ثمناً باهظاً، فقد رأي صديقه يقتل و هو

عاجز عن انقذه، راي دمائه تسيل، و الجميع يقف في صمت و ترقب لصعود روحه و الحديث عنه بلقبه الجديد.

الان يقف مراد امام الجماهير بعد سنوات طويله من المكائد و الحروب ضد الاحزاب والوساطه بين السلطه والمعارضه الرخوه، ليعلن عن ترشحه لمنصب رئيس الجمهورية، ليحصل على ما هو حقه و اهل لهُ.

٢٠١١/٩/٢٥

تحت القصف

رن المنبه بجانب سرير غسان في السابعه و النص، فاستيقظ غسان شاعراً انه قد نام نوم عميق، لم يرقه شئ، اسند ظهروه على السرير و سكن لى عدة دقائق لا يتحرك و ظل ينظر الى السقف دون ان يورد فى مخيلتهُ اى شئ.

كان صافى البال او بالاحرى فارغ البال، لا يعرف كيف فى ظل هذا التوتر الذى يحيى بداخلهُ يستطيع ان يمتلك هذا البال الفراغ.

ادار مفتاح الراديو، فوجد صوت فيروز ياتي حنون و كانه يحتويه يعطيه تلك الاطمئنينه التي يفتقدها.

الخوف و الرهاب و تلك الاشياء اصبحت تملأ حياته، لم يعد يعرف الطمئنينة او الحنان، حتي المزيكا لم يعد يستطيع الاستمتاع بها، يظل معلق في راسه اصوات الصواريخ التي تقصف الاحياء.

كان العام الماضي قاسي عليه بعض الشئ، عدد القتلي كان كبير مما قد يتخيل ان يحدث، اكبر من اى عدد قد سبق و عرفه و الاقسي من ذلك انه لا احد يتحرك، لا احد يهتم من المجتمع الدولي، الجميع يندد، الشعوب تتعاطف، و هم وحدهم من يعاني من القتل و الاعتقال و التعذيب.

ربما باقي الشعوب مقيده مثلهم، هم بالاحتلال و الاخرين بحكام فاسدين خاضعين، يتركون انفسهم فريسة للاقوي، يتركون الغرب يهيمن علي كل شئ، حتي علي حق الانسان في الحياه، و من يستحق ان يحيا و من يستحق ان يموت.

لذا كان من حقه ان يشعر بالمرارة في حلقة و أن يبكي مثل الاطفال و ان يسب كل من طلبه بالتماسك، الاطفال التي تموت و التي تنفجر ادمغتها بالرصاص، و تلك الوجوه الحزينه من اثر الفقر و الاحتلال، تجعله يشهق بالبكاء و ينقبض قلبه دوماً.

كيف يطالب بالتماسك و العالم ينهار من حوله ؟

هل من المعقول ان يتماسك و القبور تعد للاطفال قبل الكبار ؟

كانت الموسيقي القادمه من الراديو لاغنية السيدة فيروز هادئه جعلته يشعر بالهدوء و السكينه، شارد باله لدقائق مع كلمات الاغنية « أحبُّ من الأسماءِ ما شابه اسمها ووافَقَهُ أو كانَ منهُ مُدانيا، أَعدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ وقد عشتُ دهراً لا أعدُّ اللياليَ «.

لماذا عندما اتي صوت فيروز من الراديو كان تلك الاغنية ؟ يعد غسان نفسه من عشاق السيدة فيروز و السبب كان يرجع الي نوران، الحبيبة السابقة، الحبيبه الوحيدة، الفتاة التي حركت شئ بداخله، الفتاة التي استطاع معها ان يشعر بالحياه.

احبها حباً جماً، جميلة الشكل و الروح، عينها الصافيه و لونها عسلي و تلك اللعمة التي كان يراها كلما اجتمعا سوياً، خمرية

اللون، خجولة بعض الشئ.
أحبك ... كانت تلك الكلمه التي كتبها غسان لها في اول رسالة لها.
ماذا كان سيحدث لو عرفت كيف عاش بدونها ؟
لو عرفت كم عاني في غيابها، لو عرفت كيف كانت حياته بدونها .. لو تعرف مرارة وحدته... حين ذهبت، ذهبت معها كل البهجة التي كانت تجعله قادر علي الاستمرار.
لم يبقي له الأ الذكريات، اين هي الان ؟ كان سؤاله الدائم، هل مازلت تنظر عودته مثلما انتظر عودتها، ام أن ما مضي قد مضي، و الان يعد لها كماضي.
تعرف عليها في احدي المؤتمرات، كان يجلس وحيدا يدخن، حتي رن هاتفه كان يضع حينها نغمة لاغنيه لام كلثوم، فاتقدمت اليها، و سالته بكل خجول « عربي»، فانظر اليها و ابتسم بشكل ساخر « فلسطيني»، فاعملت سبب ضحكته الساخره، مدت اليهِ يديها و قدمت نفسها « نوران صحفيه سورية».
الحب من النظرة الاولي، لم يصدقه غسان و لم يؤمن بيه يوماً، لكنه وجد في نوران الونس الذي كان ينقصه، فور النظر الي وجهها، شعر بطمئنينة غريبه، لم يعرف تلك الطمئنينة منذ زمن بعيد.
ظلا يتحدثان و الاحاديث تتشعب و تتعمق، حتي وجدها تشببه بشكل كبير، دعها للغدا بعد انقضاء ايام المؤتمر فاوافقت، اراد ان يذهبا الي مطعم قريب يعرفه، لكنها اصرت ان تصحبه الي

مطعمها المفضل، فور دخوله وجده عربي، كان صوت السيدة فيروز ياتي قوي و ناعم باغنيه احب من الاسماء، ظلت تغني فيروز.

« أحبُّ من الأسماءِ ما شابه اسمها ووافَقَهُ أو كانَ منهُ مُدانيا، أَعدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ وقد عشتُ دهراً لا أعدُّ اللياليَ».

ظل يقاوم اثر النوم و شعوره العارم بالتخمه و قضاء اليوم فى السرير، تنهد ثم قام بحركه بها الكثير من العنف، هكذا هى العاده و الحياه التى يعرفها لابد من المقاومه لكى يحيا، اعد ملابسه الثقيله لمواجهة الشتاء و بردها ثم تناول الفطور و شرب قهوته.

اشاح الستار عن الشرفه و تمعن فى النظر الى السماء و الشوارع و تسأل بينه و بين نفسه هل هكذا تبدو دائما السماء و الشوارع ام انه المطر، كانت السماء صافيه، و الشوارع تبدو نظيفه نسبياً، هكذا هى الحال لا شئ كامل كل الاشياء تاخذ صفة النسبيه.

انت مواطن بشكل نسبي، انسان بشكل نسبي بلا حقوق تحترم، مجرد كائن نسبي التواجد و الموت نسبي، و الحياه نسبية، كل شئ ناقص و ليس كامل، يمكن في اي وقت ان يفني الفرد النسبي بدون ان يشكل حيز فالوجد النسبي يفرض عليك هذا.

عاد بذاكرته الى ايام طفولته و تذكر بيته و جيرانه، و ذلك الفتى الضخم عمر الذى كان يهابهُ ويشعر بشئ من الخوف كلما مر من

امامه، كان يشعر انه سوف يلكمه على وجهه بدون سبب ظل ينتظر تلك اللكمه حتى قتل عمر فى هجوم عليهم من الاحتلال. بكى كثيراً كأن من قتل صديقه المقرب او اخاه، ظل لعده ايام لا يأكل ولا يشرب كان حزنه على عمر اعمق مما يظن البعض انه مجرد حزن طفل فقد صديقه، كانه حزنه نابع من شعوره ان الحياه سوف تتغير هناك رياح قادمه سوف تمحو ما كان موجود و ستندثر حياته القديمه حيث الصراعات التافه الان سيصبح رجلاً رغماً عنه.

بعدها بقليل اجبر على النزوح هو اسرته هروباً من رصاص الاحتلال، طالبين النجاه، نظر حينها على منزله و علم انه صار من الان مهزوم ، بدون مقدمات بداء يتنشر الهلع و تصاعدت الضجه من الاشئ، نظرات الحزن و الهلع التى ارتسمت على وجوه الجميع كانت هذه الذكريات التى يتوقف عندها ولا يتذكر شئ غيرها كلما ابحر فى ذاكرته للبحث عن طفولته و ايامها.

سنغادر الان خذوُ فقط الاشياء الهامه، لا تثقل العربات، احذر هناك اقتحام قريب منا، الجميع فى حاله من التاهب و الخوف، هكذا ظل يتنقل من مخيم الى اخر و هكذا ظلت تلك الجمل تتردد على مسامعه.

لقد راه المخيمات التى لم تكن كما يظن، ليست ليلة سوف يقضيها فى الخلاء ليعود الى منزله حيث الدفئ و الامان ، لقد اختفت كل

تلك الامانى، اصبح الواقع قبيح هزلى بشكل سئ ، لا يستطيع صبى فى مثل سنهُ ان يعى ان هناك مغتصب للارض و للتاريخ.
كلما طافت بيه الذكريات تظل بيات امل دنُقل حاضره..

« تلدين الآن من يحبو..
فلا تسنده الأيدى ،
ومن يمشى ..
فلا يرفع عينيه الى الناس ،
ومن يخطفه النخّاس :
قد يصبح مملوكا يلطون به فى القصر،
يلقون به فى ساحة الحرب ..
لقاء النصر ،
هذا قدر المهزوم :
لا أرض .. ولا مال .
ولا بيت يردّ الباب فيه ..
دون أن يطرقه جاب .. «

هكذا بكل تلك السهوله و الجبروت عليك ان تقبل ان وطنك قد سلب و قدر المهزوم ان لا يكون لهُ وطن او ذاكره او تاريخ !
علم غسان جيداً أن الاحتلال ليس هدفه فقط الاستحواذ علي الارض، بل هدفه ان يستحوذ علي التاريخ، ان يعيد كتابته، ان يزيف الماضي، يضع التبرير لاحتلاله، يتحدث عن القيم التي

ينتهكها، ينظر اليك كاعبد، يعملك كا عبد، يعيد تشكيل ذاتك كا عبد، يمحي وجودك الا من خلاله، يجعل ذاته متضخمه بحيث لا تجد ذاتك، فايجبرك ان تتبعه في كل شئ، هدف الاحتلال الاول هو ان يخلق جيل جديد خاضع لهُ، الاحتلال يفز فقط حينما تنهزم النفوس لا حين تنهزم الجيوش.

ظل غسان مؤمن بان الاحتلال يشكل الجميع علي مقياس واحد من التفكير و الرؤية لا يسمح لك بان تري ما هو ابعد من ما يجعلك تراه، يستحوذ علي ماضيك و يضع هو طريق مستقبلك، يفقدك كل شئ، و الاهم انه ينسيك هويتك، ينسك من انت، يبقيك دائما تحت سطوته.

لم يعرف في تلك الايام الكثير عن العالم، ذلك المكان المسعور الذي لا يحوي الا قاتل و مقتول، عالم فيه قوة السلاح هي اللغة الوحيده التي يعلمها الجميع و يستطعون الحديث بها و يفرضون رايهم، و أن هناك رصاصه سوف تخترقك متى ارد المنتصر هذا قدرك، هذا قدر المهزوم، كم مضت الايام التى توقف عن إحصائها ينتظر الموت من تلك القذائف التى تمطر السماء.

استطاعت عائلته الهروب من المخيمات و الذهاب الى دوله مجاوره، كان صامت خائف من الجميع، لا يعرف من منهم الصديق و من منهم العدو، منعزل عن الجميع حتى فى المنفى الاختياري كان شبح الهزيمه يطارده، رغم انه لم يحارب ولم ينهزم،

لكنه كان كالجميع مسلوب الوطن و الهويه.
تنهد عندما افاق من طوفان الذكريات ثانيه، كانت كلمات السيدة مازالت في باله «فيا ربِّ سوِّ الحبَّ بيني وبينها يكونُ كفافاً لا عليَّ ولا ليَ، وقد يجمعُ اللهُ الشّتِيتَيْنِ بعدما يظُنّانِ كلَّ الظنِّ أنْ لا تَلَاقِيَا «.
استيقظ غسان و استيقظ معه سؤال عن نوران، و ظل يردد في باله سؤال اين انتي الان يا نوران تراكِي مازلتي كما كنتي ام ان الايام عبثت بيكي كما تعبث بينا جميعاً، فاتضعنا في اماكن لا نعرف لماذا اتينها ؟ او كم سيكون تكلفة الخروج عنها ؟
هبط الى الشارع و سار فى محاذات البيوت و الدكاكين، اشعل سجارته و بداء يدخنها في هدوء، ثم نظر الي السماء فاوجدها مازالت رماديه اللون ، عرف علي الفور أن هناك مطر لم يهطل بعد.
ظل يسير و يتذكر ايامه الاولى فى تلك المدينه و تذكر تغربته من مخيم لمخيم و من مدينه لمدينه ثم سافره و الاستقرار هنا، ثم عمله كا مراسل صحفى حيث لا وطن ولا ديار، مسافر غريب، هكذا يحيا المنفى وحيداً، كانت نوران تخفف من وحشته و تلك الظلمه التي كانت تقتله ببطئ، لكنها لم تشئي ان تسير معه للنهاية، كان اعمي اراد ان يموت، النهاية كانت كل ما يفكر فيه، لماذا يحيي و يظل كما الغريب.

« لا أرض ..
ولا مال ...
ولا بيت يردّ الباب فيه ..
دون أن يطرقه جاب ..»
كانت تسخر نوران منه و تخبره باشعار درويش
« سنصير يوماً ما نريد...
علي هذه الارض ما يستحق الحياه».
لكنه لم يكن مثل درويش، لقد اختار منذ زمن طويل ان يكون دنقل هو شاعره، رأي في اشعار دنقل حقيقة الحياه، احب رغماً عنه اشعار درويش، لكن درويش امتلك حب للحياه جعله يتسأل من اين لهُ بتلك الطاقه و ذلك القلب المنفتح للحياه ؟
ظلت الاغنيه مستحوذه علي باله
«فيا ربِّ سوِّ الحبَّ بيني وبينها يكونُ كفافاً لا عليَّ ولا ليَ،وقد يجمعُ اللهُ الشّتِيْتَيْنِ بعدما يظُنّانِ كلَّ الظنِّ أنْ لا تَلَاقِيَا «
اين انتي الان يا نوران ؟ كان غسان علي استعداد ان يدفع نصف عمره فقط لرؤيتها، لقد رحلت في صمت، بعد شجار لم يكن الاول ينشب بينهم.
حينها اخبرته انها لن تنتظر الي ان تشيعه لمرقده لن تتحمل ذلك، و في اليوم التالي هجرته، حينها لم يكتب و لم يحزن فقط صمت، و كأن الكلمات نفذت منه، و اللغة اضاعت التعبير، عندما علم

خبر سفارها، ذهب الي منزله و استمع الي صوت فيروز.
اشعل سجارته الاولي، و اعد كوب قهوة، و قبل ان يرشف منه رشفته الاولي، بكي و ظل يبكي، لقد مضت ثلاث سنوات علي ذلك اليوم و ذلك الجرح الذي لم يشفي بعد، و تسال تري اين انتي الان يا نوران، هل مازلت تتذكره ؟
افاق من طوفان ذكريته حينما تقدم اليه احد المعجبين بمقالاته و سلم عليه بحفاوة، فامتلأ وجهه بابتسامه قد غابت عنه منذ مده طويله، ثم تسال بشكل ساخر كيف اختار تلك المهنة ؟ فاخبر نفسه بان المهن هى من تخترنا.
سار الى ميدان الفراشات، كان يسمى فى الماضى القريب ميدان النصر، كان يتوسطه تمثال لمستبد ظل يقتل و يعتقل من يعارضه، احدث هذا الظاغى فزع لم يستطيع ان يدمره سوى الفزع نفسه، وجههُ الشعب فى خوف، سوف يخسرون حياتهم عما قريب لا شئ باقى لهم سوى الخوف، سلبهم الحياه و كل ملذتها فلم يبقى لهم شئ يبكون على فقدانهُ.
لذلك كانت ثورتهم اقوى منهم و منهُ، ظلت جنوده تقتل و تعتقل، فيزداد عدد المتظاهرين، حتى ادرك الجميع ان لا مفر فى التغير، اسقط الفاشى و سمى الميدان باسم الفراشات نسبه لمن قتلوا فيهُ و شيد تمثال علي هئية فراشه وسط الميدان، تخليدنا لهم، لم يبقى من عهدالفاشى سوى بعض المبانى رمادية اللون

حيث تعكس نظرته فى الحياه من كره و سخطهُ على الجيمع!
شهد غسان و نوران علي الانتفاضه الاوله ضد ذلك الفاشي، بداءت صغيره، مجرد مظاهرات نتيجة الغلاء و زيادة الضرائب علي الفقراء فقط، قام بعض الفقراء باعمال شغب تمت السيطرة عليها، ثم قام مجهولين بأشعال النار في بعض المصالح الحكومية، لم يعلم من قام بذلك، قامت الشرطة باعتقالات عشوائية و ضرب و سحل الكثير امام الاعين، ثم توالت الامور، كل يوم يقوم مجهولين باشعال مباني التابعة للدولة.
السلطة جنت من تلك الافعال، الفوضي تنتشر، الاعتقالات تزيد، ولا جديد يطرأ علي الامر، تخرج الامور عن السيطرة أكثر و أكثر، القبضة الحديدة تزيد، لكن الخوف يموت، تنتشر رائحه الموت بقوة، تعفن الجثث المتاسقطه من التظاهرات يُشم من علي بُعد.
التظاهرات تخرج بكثرة، الجماهير صارت تصنع اسلحتها، مواجهات عنيفة بين الجماهير و الشرطة، قوات التدخل السريع تغزو الشوارع، الطواري تفرض، اجوء الحرب تخيم علي المشهد، الانفجرات تزيد، اغتيالات لقيادة الشرطة و كل من يرتدي ملابسها، حرب الشوارع سادت.
لقد وقع التصادم بين السلطة و الجماهير، الامور اتجهت الي النهاية، سيناريو الحرب اصبح وشيك، السلطة ستحارب الشعب، الرئيس لن يتخلي عن السلطة، و الشعب لم يعد يقبله رئيس.

حاول الرئيس أن يستدعي الجيش الي ارض النزاع، لكن الجيش اعلن انه بعيد عن الاحداث، الجيش يصدر بيانات، يطلب من الجميع الهدوء، المحافظ علي الدولة، لا احد يستمع، الجيش بعيد، و الشعب يزيد من حربه ضد السلطة، انفجرات في كل مباني الدولة، المجتمع الدولي يتسأل، و غسان يشاهد و يغطي الاحداث، الميدان تمتلأ بالمتظاهرين.

ما انهي تلك المواجهات، هو فيديو لفتيات عراتهم قوات السلطة، سحلو و مذقوا ملابسهم فاصبحوا عرايا و اكمل الجنود في سحلهم، عندها جن جنون الشعب، زحفت الجماهير الي قصر الرئيس، الشرطه هربت من المواجهات، لقد تخلت عنه، الجميع هرب، طلب الرئيس الحمايه من بعض الدولة المجاورة لكنهم رفضوا و اعتبره مجرم حرب.

ظلت الجماهير تتزايد اعدادها، حتي جاء ذلك الانفجار المدوي في ارجاء القصر الرئاسة، هرب الجميع، لم يبقي في القصر سوي الرئيس و اسرته، اقتحم الثوار القصر عليهم و قاموا باعلان ثورتهم من التليفزيون الرسمي، و اصدر احكام ثورية كان اولها اعدام الرئيس، و تشكيل حكومة ثورية من بين المتظاهرين، في ذلك اليوم اصبحت الدولة ملك الثوار، الجيش اعلن تايده للمجلس الثوري.

عمل غسان علي توثيقها، فكان موثقها الاول، شعر بانتصار و

بهزايم الثوار اكثر من الجميع، كان يهتف مثلهم و يشعر بخيبتهم حين ينهزمون، تذكر بكائهُ عندما مات احد الثوره بجانبهُ، و تذكر استخدامه للسلاح ضد قوات السلطة، لحماية نفسه، لقد وثق كل الاحداث، كان عين و القلم الثورة.
بعد نجاح الثوره بسنتين عاد الى وطنه شاعراً بان هناك امل فى المقاومه ضد الاحتلال الذى اغتصب ارضه، بدأ فى تشكيل الجريدة لفضح ممارسات الاحتلال ضد بلده ،ظل يكتب و يكتب لكن لم تمتلك الجريدة القوة التي تأثر في الاحداث حتي جاءت اللحظة التي التحم فيها مع المقاومة.
كسرت الثورة الخوف بداخله، لذا ارتدي زيى المقاومة و حمل معهم السلاح، ظل يردد الموت واحد و ما اعظم ان تموت من اجل قضيتك، اصبحت مقالاته و الصور التي يصورها توثق مفاجع الاحتلال و تأكد علي هزلية اتفاقات السلام المزعومة، اصبحت جريدتهُ المتحدث الرسمي باسم حركات المقاومه، دبت الحياه فى المقاومه و الجريدة معاً فاصبحُ بذلك جسد و روح .
يقاتل الثوار فاتنتشر الجريده اكثر و اكثر، ظل الاحتلال يتلقى الضربات و توالت انتصارات المقاومه، كانت الجريدة هي الكيان الوحيد الذى استطاع ان يوحد الجميع تحت الواء واحد اسمه الوطن، القى الاحتلال القبض على الكثير و بدأ فى تعذبهم بطرق همجيه، حتى وشى بمكان اختبائهم.

الانتقام لم يكن سوى فعل حيوان بحت، حيث القتل للجميع، كأن نيرون قد بعث من جديد ليحرق ما تبقى من روما، تلك اللحظه التى كسرته و قضت على حلمه فى ان يعيد تصحيح التاريخ و اعادة الارض الى من يستحق.
قامت قوات الاحتلال بالقصف الحي الذي يحتمى فيه الثوار لاكثر من ساعتين ،لم تبقى على منزل قائم، احتمى البعض فى الانفاق، و الذى لم يستطيع ان يصل الى الانفاق صار اشلاء متناثره.
ابادهم الاحتلال، هدم بيوتهم و سجن الباقى من الرجال و لم يبقى بداخلهم من روح للمقاومه او للحياه، القى القبض على غسان، لكن بعد ضغط من بعض البلاد التي كون فيها صداقات قوية حين كان يعمل فيها تم نفيهُ ثانياً، حينها ظل يصيح و يكرر على مسامع الجميع.

«هذا قدر المهزوم ...
لا أرض ..
ولا مال ..
ولا بيت يردّ الباب فيه ..
دون أن يطرقه جاب ..
هذا قدر المهزم! «

٢٠١٤/٤/٢٠

*هذه القصه مهداء الي روح الاديب الشهيد غسان كنفاني .

نرجس

كان الجو بارد بعض الشئ و السماء تغطيها الغيوم، و الساعه تشير الي الثالثه عصراً، حينما كانت تعبر عربة نقل البضائع في الحسين، و اذا بسائقها يصطدم برجل عجوز يعبر الطريق.
كان يقف علام امام محلهُ، مرتدى جلبابه البلدى رمادى اللون ذى الاكمام الفضفاضه، يتطلع فى الناس و ينظر بتعمن فى الزبائن، عن اى المحال يقصدون و عن اى منهم ينفرون، لا يعرف سبباً لتلك العاده، لكنه اعتاد عليها، بدون سبب، يقف كل يوم بعد صلاه العصر، ينظر الي الماره ولا يفعل شئ سوى النظر.
صاح علام في قائد العربه، و اسرع نحو الرجل، و امسك بيده و اتي بكرسي لهُ و اجلسه عليه، حتي استطاع تنظيم انفاسه ثانياً، ثم دعاه الي الدخول الي المحل.

- ازيك يا استاذ محسن.
- الحمدلله يا معلم.
- ها عرفتلي اخبار جديده ؟!
- و الله الامر يا معلم، ان الموضوع صعب جداً، و انا حاولت و سألت كل معارفي و محدش عارف يوصل لحاجه.

- ازاي بس يا استاذ محمود محدش عارف يوصل لحاجه، في ناس ماكدالي كلامي، و وصفوها بالظبط ؟!
- و الله يا معلم ده اللي عرفت اوصله لحد دلوقت، و اصبر لعل الله يحدث بعد ذلك امر، استاذنك بقي.
غادر الرجل العجوز و ترك علي وجه علام علامات العبوس، كم الايام التي طال فيه انتظار ليسمع خبر عن ميسره، و الان بعد ان اتاه الاخبار من احد الاحياء، ان ميسرة كانت تحيا هناك، لقد بحث عنها كثيراً، سنوات مرت و هو مازال يبحث عن ميسره.
كان صوت الست ام كلثوم ياتي من راديو القهوة قوي
« اهرب من قلبي اروح على فين..
ليالينا الحلوة في كل مكان «
يعيد بعلام الي سنين الشباب حيث كان في بداية عشقه لميسره، ازال صوت الست عن ملامحه الحزن ثم عاد ثانيه للوقوف امام محله ليتابع حركة الناس و يتأملهم.
«الرزق هبة من عند الله وحده»
كان هذا شعار علام في العمل، لم يهتم يوماً بمنافسيه، لم يشغل باله بما يملكه غيره، كان يهتم فقط بنفسه و بما يمكن ان يفيده، كان يسعي دوما لتقديم ما هو افضل من الجميع، باقل التكاليف، فذاع صيته.
استطاع ان يكتب اسمه و بقوة بين معلمين السوق في بداية

عمله، لم ينحدر من أصل غني، بل ولد فقير، الطفل الوحيد لوالديه، عمل ولده شيال في السوق، و عملت ولدته شغاله في تنظف البيوت، فاكان لابد له من عمل حتي و هو ابن العاشره، لم يجد من يقبله سوي في ورشة نجارة، كانت اجرته ضئيلة للغاية، لكنه كان اجر علي كل حال، تعلم كل شئ في النجاره، لكنه طمح الي ما هو اكبر من أن يصبح نجار.

عمل و عمل، مرت عليه ايام لا يغادر الورشة، كان يريد ان يذهب ابعد مما هو عليه، كان يري المعلمين الكبار، و يتسأل لماذا والده ليس منهم بينه و بين نفسه، حتي تجرأه يوماً و سال ابيه، فاصفعه و طلب منه الا يفكر في تلك الاشياء،و ان عليه العمل و التوقف عن الاحلام و ان عليه فقط العمل، ليكسب قوت يومه، و يحجز مكان لهُ بالورشه.

لم يلتفت علام الي القلم، و ظل يتسأل لماذا هو اذن ليس مثلهم ؟ و لم يتردد و ذهب الي الاسطي مسعود الذي يعمل معه، و سأله كيف يصبح من واحد من هؤلاء المعلمين، ابتسم الاسطي و كشف عن اسنانه المتساقطه و اخبره بالسر الذي حفظة علام طوال عمره، و اصبح الان اغني و اقوي من هؤلاء المعلمين.

تمني لو ان اباه كان مازال حي، ليري اين ذهبت الامور معه، لم يلتفت الي شئ سوي طموحه، ارد أن يصبح غني، حين اصبح في الخامسه عشر، بدأ يطبق كلام الاسطي مسعود اخذ غرفه صغيره

و بدأ يفتتح ورشته، مضت خمس سنوات يعمل بجد و تعب حتي بداء ياخد مكانه في السوق، ثم مضت الايام حتي اكتسب شهره واسعه في مجال النجاره، ثم بداءت الرؤية تتضح أكثر فبدا في افتتاح محل للاثاث.

الان يعد علام صاحب اشهر معرض للاثاث فى الحى، حيث تشتهر بضاعته انها افضل انواع الاثاث حيث افضل الخامات واجود التشطيبات، لقد حرم علام علي نفسه في تلك السنوات كل الملذات، لم يسقط في بئر الملذات الأ مره واحده، لكنها لم تدم، كان هدفه اقوي من كل شئ حتي نفسه، حتي الزواج لم يخطر بباله.

تزوج ابنة تاجر اخشاب كبير كان يتعامل معه، فازدهرت تجارته اكثر و أكثر، حينها كان في عمر الخامسه و العشرين، كان يكبرها بخمس سنوات، لم يشعر علام تجاها بأي مشاعر، لكنه اراد النسب و اتقاء شر الفتنة، و أن يزيد في تجارته، لم يرزق علام بأبناء، حزن ثم لم يهتم، أكمل حياته بلا أى تاثر.

الان هو علي أعتاب الاربعين من عمره، مع التقدم في السن اكتسب حب للعباه الملفوفه التي اصبحت مثل كلمه السر لهُ، طفت الي السطح رغباته، صارت تتملكه رويداً...رويداً.

- لم يدري ماذا اصابه ؟

لم يري في نساء الحي، ما يأهلهم ليكونا نساء بحق من وجهة

نظره، كانوا يمتلكون جزء من الجمال، لكنهم افتقدو الدلال الذي يأهلهم ليصبحو نساء بحق، الدلال العملة التي افتقدها علام منذ الصغر، الأ أن ذكرياته مع ميسره، هي ما عاش عليه، كانت ميسره تكبره بعشر سنوات و هو ابن الخمسه عشر، طلبت منه أن ياتي الي منزلها ليصلح بعض الاثاث المخلع علي حسب قولها.

حين جاء ميعاد قدومه، رأي امرأة بحق، كانت تمتلك جسد ممشوق، نظر إليها في ارتياب، ضربته الرغبة، عصفت بيه الشهوة، ابن ألخمسه عشر، إمام الفتنه التي هزمت اكبر العابدين...أحبها.. اشتهته..

ظل علي علاقة بها لشهرين، ثم هجرت الحي، أين اختفت ؟ لم يعرف و لم يعرف أحد، فجأة خرجت و لم تعد، و أنتشر خبر زوجها من شخص ثري، ثري لدرجه انه جعلها لم تأخذ شئ من شقتها، تركتها علي ما هي عليه، حزن علام أشد ما يكون الحزن علي رحيل ميسره، لكنه كتم هذا الحزن، و لم تزل قدميه في درب الفتنه بعد ذلك، فلم يدق الخمر و لم يشرب الحشيش و لم يلمس امرأة الا زوجته.

الا أن نرجس تلك الفتاه مشدودة القوام حديثة القدوم للحى، حديث الحى، ذكرته بميسره، جسدها المشابه لجسدها، حتي طريقة كلامها، كانت نرجس تجسد ميسره في كل شئ الا انها علي عكس ميسره، تمتلك التحدي، فاميسره كانت تخبئ انثوتها

حتي لا تصبح مطمع في عيون أهل الحي.
الأ أن نرجس أشعلت الفتنه في نفوس أهل الحي، تشعرك دوما انها لا تخاف أحد، الكل يشتهيها، الكل يتمني لها الرضي، لكنها لا تبالي بأحد، و كلما اشتهوها، كلما زادت في التعالي علي الجميع، كانت تيسر في الحي بالخطوات فايرقبها الجميع، بتلذذ و حسره.
لم يشأ أن يصبح علام مثلهم، خبرته مع ميسره علمته كيف يتحكم في شهواته، لذا لم يقع في بئر فتنة نرجس علي الملاء، لكنه ارادها، اراد ان يتحسس تقسيم جسدها، لينظر من اي طين قد خلقت تلك الفتاة.
كانت جميلة كا لي لي التي فتنت العابد، استطاع الشيخ ان يغلب الشيطان، لكن لي لي قد قهرته، الشيطان يوسوس، و النفس تأمر بالسوء، الشيخ كان حائر و خائر القوي، الشيخ انغمس في الفتنة كما حدث مع علام، تمتم في سيره « لعنة الله علي عيونها» تلك الجراءة التي كانت تشع منها ارعبته، قدمت نحوه، تتحرك في ثبات، و هو خائر القوي، يريد ان يستند علي شئ في مواجهة عاصفة فتنتها، يبحث فلا يجد شئ.
الجميع ينظر اليه في حسد، و هو حائر ماذا سيصنع معها، تتقدم و علام يغيب عقله في كون اخر، حتي اصبحت علي بعد اشبار منه، لفحته حرارة جسدها، استنشق رائحتها، اقتربت حتي اصبحت انفاسها الحاره تلفحه، و هو صامت ينظر اليها بنظرات ثابته.

- صباح الخير يا معلم.
- ياصباح القشطه يا قمر.

تقدمت و توغلت اكثر في المحل، كان المحل نصف مظلم، فاتقدمت اكثر و اكثر، و علام متابع لها من الخلف، يشتهيها، و لكن مقامه يأبي أن يتحدث بشئ يقل من مكانته كأحد كبار المعلمين في الحي.

ظلت نرجس تتنقل بين الاثاث و تنظر في جميع الاتجاهات، عرف علام من خبرته، انها لا تريد الاثاث، فاهي لن تقدر علي شراء بضاعته، لكنها تريد شئ اخر غير الاثاث، انها تريد أن تخبره انه من وقع عليه الاختيار ليؤنس وحشتها.

- عاوزه كرسين خشب وسرير و دولاب ، اصلى لسه جيه قريب و الحاجه بقت معطوبه لما اتنقلت.

- كل حاجه موجوده باذن الله، انتى اشربى حاجه و استريحى و كل حاجه تبقى تحت امرك.

- ملهوش لزوم يا معلم.

- عيب ودى تيجى؟ انتى عند المعلم علام..

مسح علام على صدره، كانت رائحه الاشتهاء اقوي منه، اشتهاها لتذكريه بميسره، ربما هو لم يعرف الحب، لكنه عرف كيف يكون الؤنس بوجود مسيره، التي تركته وحيداً و اختفت، صاح فى ارجاء المحل بصوته الخشن.

- يا ابراهيم .. وحياتك يا ابراهيم وصيلى على واحد قهوه وحاجه ساقعه.
لم يعرف كيف يبدأ معاها فالتوجس هو سيد الموقف، لكنه سرعان ماقام بامسك يد نرجس وسحبها ليرها باقي الاثاث عنده، احس انه يمسك يد ميسرة، لقد ذاب حين مرت يديهُ بين اناملها، شعر انه كـالزبد على النار، لم يشعر بهذا الاحساس منذ زمن بعيد.
- أين انتي يا ميسرة ؟ لماذا تركتني وحيداً.
فى ضحكات لا تخلو من الانوثه الطاغيه التى غيبت عقله و احمرار طفيف على الوجه الذى ازداد اشراقاً وجمالاً على جمالا وقف علام يتطلع فيها و هو فى حاله من النشوه العارمه التى تلقى به بعيداً الى فترة الشباب.قدم اليها افخم انواع الاثاث التى لا يستطيع احد من الحى شرائه، فقط اصحاب الاموال، هم من يتجرئون على الاقتراب و التفكير فى الشراء فقط.
- يا معلم الحاجات دى غاليه عليا وانا مش معايا حقها.
- الغالى يرخصلك يا ميسرة.
نظرة اليه في استغراب، فلم يدري ماذا يصنع هذا الخطأ، فاكمل و كأن شئ لم يكن.
- خدى انتى الى يعجبك و الدفع بالتقسيط، بكره البضاعه هتتبعت على البيت و انا هكون مع الرجاله عشان اتاكد من الوصول.

فى نظرات توحى الى الاشتياق لرجل يملا ذلك الفراغ الموحش فى مسكنها الجديد، و أن سريرها لم يطئوه رجل من قبل و انتظاره لنصفه الاخر، و انه من وقع عليه الاختيار، رحلت نرجس بعد حديثها القصير و تركت الخيالات تعبث برأس علام، ظل يشعر بنشوه النصر و قلق التوجس في آن واحد.

مرت ساعات اليوم سريعه لم يشعر بنفسه الا بعد أن انتفض من لسعات البروده التى تخبر بقدوم ليله شتويه عاصفه قد يتجمد من شدة البرد، كانت ليله شديده الصقيع، اختفى على اثرها الجميع ولم يعد يسمع لهم صوت خطوات او دبيب على الارض، اغلقت اغلب المحلات لتجنب ذلك الضيف المفجأه و لسعاته المميته، اغلق علام المحل و ذهب الى منزله و هو يوعد نفسه ويحلم باللقاء غد الذى طال انتظاره.

ابتلعته ظلمة الشوارع بما فيها من صمت مرعب و بروده قاتله، و بينما هو يسير وجد اصوات نباح تعالي و تنخفض دون رؤية كلاب او سماع اصوات دبيبهم على الارض، اجبرته علي الاستعاذه بالله و السير بسرعه، فاهو يعرف أن الحي مسكون بالبشر و الجان علي حد سواء، و كم من القصص التي رويت علي من شاهدوا الجان و من لمسهم الجان، و من اختفوا علي اثر عشق الجان لهم، استعاذ علام بالله منهم و اسرع للوصول الي بيته.

فى الصباح كان الراديو فى القهوه يتعلا منه صوت الست فى اغنيه

امل حياتى وظل يرددها معها « امل حياتى يا احلى غنوه سمعها قلبى» ارتاحت اذن علام الى تلك الكلمات و اطلق العنان لخياله عن تلك الساعه التى سيذهب فيها بالاثاث الى شقة نرجس، و ظل يقارن بينها و بين ميسره.

اشفق على نفسه وعلى الرجال فى الحى من فتنة نرجس التي حلت عليهم من حيث لا يدرون ، اين هم منها و اين هى منهم ؟ لقد صاروا شيوخ، هى التى يقف الجميع لها اجلالاًلها و لمفتنها، و هم قد فاتهم قطار الصحه و الشباب.

فى تمام الخامسه كانت اصوات الشيالين تقتحم سكون سلم منزل نرجس وسط نظر و حسد من نساء الحى على الاثاث الصاعد الي شقة نرجس ، تصاعدت اصوات الشيالين « هيلا هيلا «.بعد مرور نصف ساعه كانت اشبه بالدهر على علام، اتنهى الشيالين من وضع الاثاث الجديد، الذى اظهر كيف ان شقتها باليه و قديمه، و انها ليست اهلاً بهذا الاثاث، عندها اصبحت الفرصه سانحه للخلو بها.

وفق علام متصلب بعد ان اغلق باب الشقه، قدمت اليه نرجس فى خطوات تملائها الانوثه، طيف ميسره يطوف حوله، ميسره تنظر اليه من خلال عيون نرجس، ميسره هي التي تختلي بيه ليست نرجس، حاول أن يتخيل الموقف و ماذا سيحدث ؟ كان يمني نفسه بتلك اللحظة، لكنه لا يعرف ماذا يفعل ؟ ميسره هي

التي تقدمت نحوه، هل ستفعل نرجس هذا ايضاً معه !
كانت نظراته لها يملأه الاشتياق، حاول امساك يدها و هى تقدم الشاي اليهِ، لكنها هربت من يده بكل رقه واثونه مما اثار رغبه اكثر و اكثر و جعل صدره يحترق شوقاً لها، نظرت اليها نرجس بنظرات غريبه لم يعهدها لها من قبل.
لم تعد تلك الفتاه التى تواجه الجميع بنظرتها الجرئيه، أصبحت اشبه بفتاة بريئه فى السادسه من عمرها فقدت ابيها و وجدته بعد طول انتظار و بحث.ساد سكون طويل بينهم، لم يفقو منه سوى بارتطام درفة الشباك بالحائط المجاور لها بفعل الرياح، ظلوا في حاله من الصمت و الترقب كلا منهم ينتظر الاخر ليأخذ الخطوة الاولي، و كلاهما متيبسين عن الحركه، حاولت نرجس الحديث فلم يخرج منها سوى بعض التمتمات، لكنها استجمعت كل ما أُتيت من قوه.
- يا معلم انا مش مؤمس، انا لسه بنت و عاوزه اعيش معاك فى الحلال، انا مقطوعه من شجره ومليش اهل و لا ليا ظهر اتسند عليه من قسوة الدنيا والناس.
استمرت نرجس فى الحكى و قصت قصتها كامله، حكت لهُ عن ماضيها و كيف عانت فى صغرها ؟ و كيف اضطرت الى الهروب من ذلك الجحيم الذى كانت تحيا فيهِ ؟
ظل علام صامت لا يتفوه بكلمه يستمع الى حديثها بتمعن، ثم

شادر قليلاً و تمعض وجهه من حديثها وحدثته نفسه بالرحيل، هربت منه شهوته اتجاها، و عندما هم بالرحيل كان الدمع قد ملأ عينيها حينها شعر انها احدى مسئولياته و عليه ان يتاخذ قرار بشائنها.

-بصي يا نرجس، انا مجتش هنا عشان اتجوزك.

- بس انا مش مؤمس يا معلم، لو عاوزني نتجوز.

- مقولتش انك مؤمس انا بعرف اقدر الناس كويس، بس تفتكري فيكي ايه زياده عشان اتجوزك ؟

- يا معلم انا مش برمي جتتي عليك، أنت راجل بتعرف توزن الناس و الامور، انا بقولك نتجوز عشان انا مليش في الحرام.

شرد علام لثوان، لا يعرف مهرب من موقفه، كانت الامور اكثر سهولة و يسر مع ميسره، لماذا كل هذا التعقيد الان ؟ لكنه شعر أتجاه نرجس بمشاعر متضاربه، يشعر أتجاها بشعور كان يفتقده منذ سنين منذ ان رحلت ميسرة و تركته وحيداً.

- ميسرة يا حبيبتي الوحيده أين انتي ؟

تمتم المعلم اول كلامته بعدما افاق من شروده، لم تستطيع نرجس ان تتبين منه الكلمات، اكتسي وجهه بتعبيرات غريبه، لم تتبين منها نرجس شئ سوي انها بصدد قرار هام.

- انا موافق نتجوز.

لم تصدق نرجس كلماته، شعرت انها تحلم، الاحلام لم تعد تحدث،

المعجزات توقفت منذ قرون، و الان امنيتها تتحقق !

- انت بتتكلم جد يا معلم.

- طبعا بس على شرط.

اتمعض وجه نرجس.شرط ايه يا معلم ؟!

- الجواز ده هيفضل سر بينا وانتى هاتعزلى من هنا.

- يامعلم الجواز ده على سنه الله و رسوله هتخاف من ايه بس؟!

- انا مش عاوز الناس يقول وحده كلت بعقل المعلم حلاوة، انا مقامي كبير وسط الناس و اي حاجه تمس سمعتي هتخسرني فلوس كتير، ها قولى ايه يابنت الناس ؟

- وانا تحت امرك يا معلم .

- الخميس الى جى هتسيبى البيت ده وتروحى لشقتك الجديده هستناكى اخر السوق على المغربيه.

- اكيد يا معلم !

- اكيد يا نرجس.

نطق علام كلمته و غادر الشقه، و ظل يتردد صدا كلمته علي مسامع نرجس « بكره المغربيه « فاظلت تحلم بتلك اللحظه و تنتظر وعده و هو يغادر الشقه و ضلام الطرقة يبتلعه و يختفي تماما عن عينيها و هي تمني نفسها بالغد و تحلم.

٢٠١٢/١٠/٢٠

موت مغنية مغمورة

كانت الاضواء لامعه، و الجميع في حالة من السعاده و النشوة، هنا في بار (La vertu) ، لا يوجد هنا من يهتم بما يحدث في الخارج، كنت قد قدمت الي هذا البار منذ اكثر من سنيتن و صارت من رواده بعد ذلك، تعرف فيه علي العديد من الرواد الاخرين، كانت اعمارهم متفاوته.

اكثر ما كان يشغلني هي روز صاحبه البار، قيل لي عنها انها كانت من عائله مترفة، ذهبت الي فرنسا لاستكمال تعلمها فاحبت شاب فرنسي لم يتوافق اهلها عليه، فتزوجته و بعد ذلك جاوء الي مصر للاستقرار و اشتروا هذا البار، كما قيل لي العكس، انها كانت تعمل في بار قريب من هنا و احبها شاب فرنسي حبا شديد، و تزوجها و اشتري لها البار ثم لم تمر سنوات قليله علي الزواج حتي توفي الزوج، فاصبحت روز تملك البار.

الاشائعات تدور و لا تتوقف، هنا في بار كل شئ متاح اذا تم فعله بعيدا عن الاعين، لا تفعل الخطا امامنا، لكننا نعرف ان هذا يضاجع هذه، لا يوجد حياء او قيم بداخل بار (La vertu)، هنا يسقط كل شئ لنعيش في حديقة من المتع الدنيوية.

هنا ايضا رايتها، كانت تعزف اغنيه La vie en rose، كانت تجلس بعيدا عن الجميع، رفيعه الجسد شعرها كيرلي ترتدي بلوزة زرقها علي جينز فاتح، جسدها مشدود (عود فرنساوي) كما اعتاد صديقي لي القول علي الفتيات النحيفات.
تقدمت اليها، كانت تقراء كتابا لم اتبين اسمه، و كان امامها كاس نص فارغ و علي حوافه رغوة بالبيرة ظاهره برمها الابيض بسبب الشعير، كنت اعرف انها لا تشرب الخمر، من ياتي هنا ليشرب البيرة ؟
الان هي نص سكرانه او هكذا تحب ان تضع نفسها،لابد ان حدث لها خيانه، ربما خانها boyfriend ، او انه خانها مع صديقتها و هي استطاعت ان تكشف الامر، لكن لا يهم ما يهمني في تلك اللحظة، انها صيد سهل الحصول عليه،لن تمانع من الرقص.
لم استائذن فور بلوغي طولتها، سحبت كرسي، و جلست معها، نظرت الىِ في استغرب شديد، كانت الاغنيه تعاد مرة اخري، هناك عطل علي ما يبدوا، نظرت اكثر الي يدها فكانت ترتجف ارتجاف بسيط، هي لا تشرب، نظرت الي في تهجم ثم اكمل النظر في كتابها، الان دوري لصيدها.
- تعرفي ان انهارده يوم حظي.
لم تجيب و لم تلتفت اليٍ تتظاهر بالهدوء، لكني اعرف كيف استفزها.

- انهارده انا كنت واقف علي النيل و بسال نفسي ايه المعني من كل شئ، من الحياه، من وجودنا، من الحب، من الصداقه، من الخيانه، مش كل شئ بينتهي لمفيش ؟

عندها نظرت الي و كان في عيونها دموع تقاومها، لكنها لم تعد تحمل الخمر يجعلنا صرحنا اكثر من اللازم، ازحت الكرسي اتجاها و تقربت منها، في البداية امسك يدها فلم تمانع، ثم ظللت اتقرب اكثر و اكثر حتي ضممتها الي صدري، فبكت و ظلت تكبي حتي ابتل قمصي.

يا عزيزتي لماذا تظني انك اول فتاة تخان، لماذا تظني انك غير الجميع، العالم لا يدور حول احد، لو اننى لا اريد ما كنت اهتممت بيكي، نحن من نصنع هالة حولنا و ندعي اننا مهمين، لكن الحقيقة غير ذلك، ما يحركنا نحو بعضنا البعض هي المصلحه.

ظلت تبكي حتي هدءت، نظرت الي في عيون يملاها الحزن و الامتنان.

- مريان.

- انور

- اسفه علي الدموع و بهدلة القميص.

كان اسفها صادق مثل دموعها لقد احبت من كل قلبها و ذلك الخائن جعلها تتألم بحق.

- عادي و لايهمك، بس دلوقت لو حلفت لمراتي ان الروج ده مش

حضن هتصدق ازاي ؟
ارتسمت علي وجها شبح ابتسامه، و كانت تلك فرصتي للصيد، ظللت اتحدث و اتحدث، و شربنا اكثر و اكثر، كنت اعرف انها لن تقاوم الشرب و سيغلبها عما قريب، هنا في بار (La vertu) كل شئ متاح لكن لا تفعله امام الاعين.
دعوتها للرقص، كانت الموسيقي الفرنسية مازالت تعزف، كان جسدها متيبس في البدايه، حاله من الرفض، لكن عقلها يريد ان يخون ذكريها، لذا عندما قربتها الي صدري و احسست بانفاسي كانت تنهار مقاومتها، رقصنا رقصتين، ثم دعوتها لنتمشي للخارج، و في الخارج كان عرض استكمال الرقص في شقتي جاهز، ترددت لدقائق ثم وافقت، كان كل شئ طبيعي، جعلتها تشرب مرة اخري، لكي لا يتبقي لها أي مقاومة.
في الصباح كانت تبدو منتعشه بعض الشئ وجدتها تجلس امامي ممسكه بكوب من القهوة و نص ساندوتش، كانت جميلة لم اكن اكذب عندما اخبرتها انها اجمل ما رايت عيني، ضحكت ثم وضعت القهوة و الساندوتش و قفزت في حضني، لا اعرف كيف حدث الامر ، لكني وقعت في حبها في تلك اللحظة.
عرفت منها ان حبيبها خانها مع صديقتها، الغريب انه كان يقول لها و لصديقتها نفس الجمل، لا يوجد أي ابداع، وحين صارحته بالامر لم يكذب بل اخبرها بانه يريد ان يجمع بينهم في ضحكة

ساخره و حين اخبرت صديقتها لم تكذب و اخبرتها انها علي استعداد ان تشاركها اياه، كانت المغفله الوحيده في هذه العلاقه، الغريب انها كانت تخبرها دوما انها اعز اصدقائها.

لم نكن حبيبين، و لم نكن صديقين، كانت علاقتنا هادئه جميلة، تتصل بي تسالني عن يومي اخبرها انه زي الزفت، فتضحك فاشعر بسعاده بالغه، اخبرها انني سانتظرها علي العشاء، فتاتني، نعد العشاء سويا، و نرقص قليلا، ثم تبيت في احضاني.

افقت من غفلتي علب صوت صياح الحاجب.. بصوته القوي في ارجاء المحكمة بمحكمة، ظل يتردد صدي صوته لثواني معدودة، فانتهت كل الاصوات عن الحديث، ثم انتقلت الانظار صوب القاضي و سرعان ما اصبحت القاعه صامته تماماً، ظلت الانظار متعلقه بالقاضي حتي نودي برقم قضيتي، عندها تحولت الانظار بشكل تلقائي اليِ.

كانت حينها ملامح وجهي هادئه، اعرف مسبقاً كل ما سيحدث، لقد اعترفت بكل شئ، اخبرتهم بكل شئ انني من قتل الاثنين، نظر محقق المباحث لي جيدا، و كان يريد ان يخبرني بشئ لكنه صمت، لم يتخيل احد انً تلك الجريمه ليس وراء دافع حقيقي الا المتعه ؟ لماذا لا اقتل من اجل المتعه ؟ بينما ادير راسي شغلتني تلك الملامح معدومة المعني التي كانت تملأ القاعة تلك المسحه من البلاهه التي كانت تكسي وجهُ الحاضرين.

من اين لهم بتلك النظرات الزجاجيه الخاليه من الروح، شعرت و انا انظر اليهم انهم مجرد الات مبرمجه لتلك لافعال بلا اى تواجد للانسان بداخلهم، ربما لكونهم ما هم عليه، هؤلاء هم عبيد الخنازير يسبحون بحمد الالف منهم، ربما يوجد منهم ناقم لانني قتلت ذلك الخنزير، البعض يعشق الذول تلك الحاله الماذوشيه من حب الجلاد و تلذذ الضحيه، اراها هنا الان في تلك العيون.

لما لم اهرب ؟ لو كنت هربت مان ينمكنني قتل المزيد، لا يهم العدد لكن لابد من استمرار اللعبة، لابد من قاتل مقتول دوماً، اردت ان اسبح خارج التيار، الخنزير شتمني و سبني، ايعقل ان يكون هذا سببا للقتل ؟ كنت اعرف الاكاذيب هي كل شئ، الجميع يعلم الحقيقة لكن لا احد يتحملها، الجميع يتحاشي الحقيقة، الجميع يخافها، فتختفي و حل محلها الاكاذيب.

كنت من هؤلاء الماذوشين لفترة من حياتي، اتذكر اعجابي انا و اصدقائي فترة الثانوية بمدير المدرسة، حين كان يمارس العنف علينا، كنا نتحدث عنه بفخر و كانه بطل، نحن نحيا في حالة من الماذوشية لن تنقطع، لذا لا اتعجيب من نظراتهم و من كونهم ودعاء طيبين قد تجدهم لا يتشاجرون او يصيحون في وجه احد، هؤلاء ليسوا بشراً عذبتهم الحياه اكثر من الممكن فاصبحوا شئ اخر غير البشر، و ربما هي المعرفه انه لا يوجد مفر و سنظل محصرون هنا حتي نموت.

تحولت الرؤوس الي الدفاع تاره ثم ظلت تتنقل بيني و بين القاضي ، جاء الجميع ليستمع لما حدث، و صفت الصحافه القضيه بقضيه الموسم، البعض وصفني بالسفاح، و رجل الشارع البسيط احبني، وجدني اشبه لحد كبير، ملامحي بسيطة مثلهم، لا اتحدث الا بلغتهم.

حتي ان البعض ارسل اليِ برسائل تضامن، اصبحت في خيال البسطاء الرجل صاحب الدم الحامي الذي لم يطيق الخيانه حتي و ان جاءت من منِ هم اقوي مني، او ربما لانني تحولت الجلاد و استطاعت لدقايق ان اتوقف عن دور المجلود، حتي رفاق الزنزانه كانوا يخبروني بانني جدع، الرجل لا بينحني ولا بيتخصي، كنت اعامل بينهم معاملة الملوك الجميع ينظر لي بعين بالاحترام.

لكن الحقيقة انني لم افعل فعلتي من اجل احد، فقط لم ارد ان اكمل حياتي في الجحور ليحيوا هم في القصور يضاجعون ما يردون من نسائنا دون ان نملك الحق في الرد،

اردت ان اصبح احدهم او علي الاقل ان لا اخاف منهم، انا لا اشعر بثقل الهواء المحيط بهم، لم اعد احب شعوري بالضعف امامهم و ضئل مكانتي بينهم،كان قتلي لهذا الخنزير رساله لي و لهم انني لم اعد اخافهم، لن اصبح منهم لكني لا اهابهم، الفقير استطاع ان يفتك بمن يشعر انه في مأمن منه و يستطيع القضاء عليه في جرة قلم علي ورقة متسخه.

لا احب الخمر لكني كما قيل احببت الاستشفاء بها مما اعيشه، ابن الطبقة الوسطي يمارس الجميع عليه ساديتهم، التسلط يجتمع علينا من كل اتجاه، المدير يمارس سلطته و يتلذذ باذلانا، حتي الفراش تلك الخرقه الانسانية التي قضت حياتها تمسح وساخه الناس، تمارس سلطتها حين يوكل اليها جزء ضئيل من السلطة، الجميع هنا لا يعرف الرحمه، نحن ندعيها الي ان تاتينا السلطه فانمزق بعضنا البعض.

لذا احببت الخمر تجعلني منتشي منعزل عن العالم، ظللت انعزل حتي لم اعد اعرف في اي عالم اعيش، حتي جاءت اللحظة و رايت الخنزير و كانت اللحظة الاولي التي اري فيها خنزير يصيح و يتحدث كالبشر، لذا لم انفعل.لماذا انفعل علي خنزير ؟ انه ليس مثلنا، حتي و ان ارتدي بدلة انيقه و ساعه غاليه الثمن، وركب احدث السيارات، فيسظل خنزير ،لا يغير كل هذا من حقيقته شئ .

لذا كانت جريمتى جريمة عادية، تحدث كل يوم في ارجاء العالم، لكنها جديده هنا فقط حدثت عنها الصحافه بشكل اثار سخطي عليهم، ظلوا يتحدثون عن الطبقية و الدفاع عن النفس، و ظلت الاقلام تمتدح و تزم، و انا اعرف السبب وراء كل هذا، انه الشعور بالانتصار و الهزيمة، كانت القضيه تدور حول مريان فقط، المغنيه المغمورة التي اصبحت الجرائد لا تتحدث الا عنها، و عن

علاقه الفن بالسلطه و المال، كانت مريان هي محور الاحداث ليختفي الخنزير قليلا، ربما لو لم يكن مشهور و دائم الظهور علي الفضائيات لكان عدم ذكره غير هام، لكن منصبه و انتقامي جعل القضيه ساخنه و ماده قويه للكتابه عنها.

اتذكر كل شئ حتي ادق التفاصيل، اتذكر صيحاته و صحيتها.. نظراتهم..حتي نبرات صوتهم و هم يدعوا الله لطلب الرحمه، لكن من اين ستاتي الرحمة الان انا من يمتلك السلطة، انا وحدي كان يقرر من يحيا و من سيموت، لذة تشبه لذة الوصول للذروة، كانت لحظة لن تتكرر لذا كان علي اقتناصها.

التفاصيل التي كتبت في الجرائد لمٍ تكن سوي محض خيال من الصحفي و اشباه حقائق، راي الكثير منهم ان القضيه تتحمل الكثير من الاراء و هكذا بدواء في الكتابه و سرد تفاصيل غير حقيقة.

التفاصيل الحقيقه غائبة عن الجميع، انا لم اقتل مريان، لما علي ان اقتلها، لقد احببتها بصدق، شاركتني السرير و الحياه سوياً، امتلكت معها ذاكرة و بيت، لم نتزوج طبعا، اللقاءات التي جمعتنا جمعت عشاق و ليس متزوجين، عندما قدمت لاطعنها نظرت الي عيونها فلم استطيع ان اكمل طلبت منها الرحيل فوراَ و الاختفاء للابد، و كذبت علي الجميع و اخبرتهم بقتلي لها، حتي تستطيع ان تحيا في امان.

اما عن ذلك الخنزير الذي وجدته بين فخذيها حين دخلت الغرفه، فلم استطيع ان ارحمه، الخنزير التي تأكلنا لتحيا هي، لابد لها من الموت، امتعني تعذيبه كثيراً، الطعنات، تقطيع اجزء من جسده و جعل دمه يتقطر امامي، كانت لحظة لن تتكرر في حياتي ثانية، لقد لف حبل المشنقة حول عنقي لانني عذبت رجل من الطبقة الراقيه.

لو كان المجني عليه مجرد حثاله من عامة الشعب التعيس هذا لم يكن لاحد ان يهتم بيه، لربما قيدوها ضد مجهول، ما جعل لهذه القضية اهمية، هي مكانة هذا الخنزير، قيل انه اعلامي و قيل من رجال الدولة، وقيل الكثير، لكني اعرف حقيقته، فهو مجرد خنزير متعجرف، بماذا افاده مناصبه و هو بين يدي يعذب و يصرخ و يبكي لارحمه.

كانت تلك اللحظات هي امتع ما حدث لي في حياتي، كان الخنزير قصيره القامه، ممتلأ البطن، اصلع الراس، تشعر عندما يتحدث الي احد انه يتحدث من انفه، كانت طلباته للرحمه تزيدني عنف، شعرت حين كنت اسلخ جلده شعرت بالحريه ولم و لن اندم علي فعلتي بيه.

كان يعرف ان هذا مصيره، ليس لي دخل بالامر، كان القدر هو من اختارني لتنفيذ مشيئته، لذا كان ذلك الخنزير مستسلم بشكل كامل لافعل بيه ماشاء.

قيدته بالسرير، ثم شارعت في تعذيبه، هل تري كنت سافعل كذا هذا لو صمت ذلك الخنزير و احتفظ بكلماته المعتوه مثله لربما كنت ذهبت في سلام و حرمت نفسي من تلك المتعه.

التعذيب و القتل... كيف لي لم اعرف انهم يمتلكوا كل تلك المتعه، قراءت يوماً ان الجنود الذين كانوا يتولون التعذيب في الجيش النازي كانوا يواجهون مشاكل جنسية لذا اتخذو من التعذيب متعه حين عجز عن الجنس، اتجهوا لما هو امتع.

كنت في الصغر احب حرق الحشرات، كانت امي تنهاني عن هذا و تخبرني بان الله سيعاقبني بنفس هذا العذاب، لكن المتعه كانت اكبر، الانجذاب لممارست التعذيب كان اكثر حباً لي، اشكال الحشرات و هي تنكمش لتتحول الكور صغيره، تبداً الارجل بالتداخل و يتبعها باقي الجسد، لينتهي بها المطاف مجرد كورة من الكربون، «لا يعذب بالنار الا خالق النار» كانت امي دوما تذكرني بهذه الجمله، لذا فضلت ان اعذب الحشرات خلسه.

حين اشترت اختي الصغري قط، كانت صغيره و مزعجه، تاتي عندما اغض في النوم لتقتحمني و تنام بجواري، بداءت في تعذبها، اضربها، اسكب عليها الماء المغلي، حتي جاء اليوم الذي لم اتمالك نفسي و امسكتها و ظللت اضرب راسها بالحائط، تفجر الدم منه، شعرت حينها بسعادة غريبه، و حين سالوني عنها اخبرتهم انها خرجت و لم استطيع الامساك بها، صدوقوا كذبتي، و كانت تلك

المرة الاولي لي التي اقتل فيها كائن غير الحشرات.
و في فترة الثانوية انضممت لنادي للملاكمه، كنت احاول ان افرغ طاقتي و استمتع بضرب الناس بدون ان اوضح هذا الامر، حتي قسوت علي احدهم فاكسرت ذراعه، لم احب ان استمر في الامر، كنت اخاف من ان يحدث الامر لي لذا تركت فكرة الملاكمه.
جاءت الجامعه، و كانت جامعتي في محافظة اخري، فالتحقت بالمدينة الجامعية، كانت هوايتي السرية هناك هي تعذيب الكلاب، اشعل فيهم النار، اقطعم اجزء منهم، كان سيكشف امري لذا توقفت عن هذا الامر، كان نباح الكلاب ممتع،صراختها، كنت اشعر بتوسلها الي تطلب الرحمه و تتسال لماذا اعذبها ؟ تمنيت ان اعرف اجابة لنظرات الكلاب لكن لم اجد اجابه لنفسي لماذا اعذب انا ايضا ؟
لم انشغل بالفلسفه اكتفيت بشعوري بالنشوه، لكني كنت مرغم علي التوقف، كنت اري الجانب الممتع في حياة شخص مثل هانيبال ليكتر، لكني لم احب ان اقتل البشر، لم يستهواني الامر، ظللت امارس تلك العادات منفرداً.
حين وصلت الي السنة الثالثه كنت قد تعرفت علي سمية، فتاة خمرية البشره، فاتنه بكل ما تعنيه الكلمه، الجسد الممشوق المتكامل، ماكان يعبها فقط ضحكتها المزعجة، و بسمتها كانت غريبه نوعاً ما، هذا كان اسوء ما فيه او هكذا اعتقدت، تصدقنا

لفترة، حتي وجدنا انفسنا نندفع الي مرحلة الحب، لا اتذكر من الذي اخذ المبادرة لمصراحة الاخر.
مر الشهر الاول لعلاقتنا في تناغم حتي عرضت عليٍ الذهاب معها الي عيد ميلاد صديقتها جيجي، كنت دوما اشعرً بشئ غريب اتجاها، هناك احساس انها تفعل شئ غير معتاد، نظرتها و طريقتها في الوقوف و الكلام، هناك شئ غريب لا اعلم و لم احبه اتجاه جيجي، لكني لم ارد ان اصير الشخص المفسد للمتعه، ذهبنا سوياً، لم يتواجد الا انا و سمية و جيجي و صديقها.
احتلفنا بجيجي في شقتها، كانت الاجواء شبابية و متحررة لابعد الحدود، رقصت لنا جيجي، ثم دخنا الحشيش، و شربنا بعض البيرة، حتي جاءت اللحظة، انفردت بسمية، لم اعرف ماذا علي ان افعل هل ابدا بتقبلها، ام ان هذه الفرصه لن تتكرر فاغتنمهاً لاتعرف علي عالم الانثي بشكل حقيقي.
لم تمهلني الوقت للتفكير، انقضت عليٍ، ظلت تقبلني، حينها عرفت ماذا علي ان افعل، و فعلت، و الفضل كان بالطبع عائد للغرائز الحيوانيه بداخلي و بعض النصائح من اصدقائي الذين قد خاضوا هذه التجربه مبكراً عنا هي النافع في تلك المواقف.
كانت النصيحة الاولي هي ان تكون البدايه بالتقبيل، فاقبلتها، ثم تركت يدي تمر علي ثنايا جسدها الممشوق، محاولا اثارتها، ظللنا نقبل بعضنا البعض، حتي اصحبنا عرايا تماماً، عندما انتهيت منها

و من شهوتي تملكني شعور غريب، لم ارد اللاتفاف اليها، لم ارد النظر الي وجها، تمنيت ان ارحل في صمت، لكن القاعدة تجبرني علي الالتفاف و احتضانها مرغما.
ثم تعددت لقائتنا و ظللنا نلتقي و نفعل ما نفعله في منزل جيجي، حين يكون اهلها غائبين عن المنزل،ثم انتقلت علاقتنا من مرحلة الهدوء الي مرحلة لم اكن اعلم عنها شئ.
بدأت لقائتنا تتعدد كنا نلتقي في اليوم مرتني، كانت تحب لعبه السيد و العبد، اخبرتني عن حبها للماذوخية فاخبرتها عن حبي للساديه و هكذا ظلننا نمارس لعبتنا ،في تلك الايام تعلمت جيداً كيف اصبح الطرف السادي لتصبح هي الطرف الماذوخي، كانت تسمي نفسها العبد.
كنت اشعر بسعادة و انا انهال عليها بالضرب، كنت اشعر بسعاده عارمه من تلك الافعال التي كنت اندم من فعلها فور الانتهاء، ثم تحاول هي استفزازي في لقائنا فاعود لنفس الفعل.
وجدت نفسي اشعر بسعاده حقيقة حين اقوم بضربها، و ظللت اشعر بكراهية و بغض اتجاها، و كان بسببها تبدلت الي اخر، لا اعرف، كانت اللعبة تقع عند حدود معينه، و سمية نقلت اللعبه الي مستوي اعلي دون ان انتبه لذلك و انا لم اكن مستعد.
انقضت فترة الجامعه و انقطعت علاقتي بسمية فور نهاية الجامعه، و ذهبت الي الجيش و بعد الجيش ذهب الي العمل

بالبنك الذي كان يعمله فيه ابي، و ظلت حياتي هادئه، كونت صدقات هناك ليست بسئيه لكنهم كانوا مملين الي ابعد حد لا يفعوا شئ سوي الكلام، شعرت بالرتابه و الملل كان يخنقني، الي ان تعرفت علي معتز، كان يشبنهي و يشاركني الملل.

اخبرني عن بار قديم يعرفه في وسط البلد، كانت اجواء البار عتيقه تذكرني ببارات الحروب البارده، كان الجو خانق و الهواء بيه شئ من العطن، حتي الخمور كانت نص مغشوشه، هكذا اخبرني معتز، فلم اشرب و اكتفينا بطلب البيرة، اعجبني المكان، رغم ما فيه من عيوب، الا انه كان هادي و مريح، علي عكس (night club)

ظللت تردد علي هذا البار بوجود معتز او عدمه، هناك وجدتها كانت تجلس بعيدا عن الاعين، حينها كانت تعزف اغنيه فرنسية، كانت الاجواء غريبه، لكنها حميمية علي نحو ما

. La vie en rose استمتعت الي الاغنيه جيدا فا كانت،

اي لعنة جائتي منها يا عزيزتي، لا اعرف لماذا انا من عشاق تلك الاغنيه حتى مع عدم معرفة كلمات الاغنيه الا انها كانت تمسني بشئ ما، تقدمت اليها، كنت حينها شربت اكتر من ان اخاف الرفض.

كانت تشبه فتاة احلامي فهي جميلة شعرها كيرلي، نسخه من سمية، لكنها اكثر سمارة، كنت اشتاق الي سمية، هناك في داخل

اعماقي كنت احب سمية و كنت ايضا افتقد ما اعتدت ان افعله معها.
حاولت علي فترات متباعده ان اجد فتاة تحل محل سميه، لكنني فشلت فاغلب الفتيات لم توافق علي طرقتي، فابعضهن اتوا بدافع ممارسه الجنس كادليل علي الحب، و بعضهن ارادوا قضاء ليلة سعيده، حتي انني حاولت ان احصل علي خدمات عاهره، لكنها لم تحتمل عنفي.
تقدمت نحوها و قمت بسحب كرسي بجوارها و قدمت اليها نفسي و لم اترك مجال لرفضها، اندفعت في الحديث بدون توقف، اكتفيت هي بالابتسامات الخفيفه، ثم دعتها الي الرقص فلم تمانع، و خلال رقصتنا عرفتني علي نفسها.

كانت تسمي مريان، فتاه عادي جدا،في الخامسه و العشرين، جسدها ممشوق بعض الشئ، او كما يسمونها (عود فرنساوي)، قمحاوية البشرة، تعشق الغناء، تعمل في البار كا مغنيه، شاركت في بعض المهرجانات، و احيت بعض الحفلات لا تهتم بالشهرة، فهي تعشق الفن من اجل الفن
اعرف ان يوجد مثلها الكثيرات، قد لا تكون تمتلك اي شئ استثنائي فيها، فاجسدها رغم ما فيه من جمال هو عادي بالمقارنة مع باقي الفتيات التي تتواجد حولنا في كل مكان، الان و مع الموضه

الحديثه صارت كل الفتيات تشبه بعضها بلا اي اختلاف، لكن عينها، كانت كلمة السر، كانت تمتلك نظرة لا تستطيع التماسك معها، الاغراء و الفتنه، الانوثه الطاغية التي تشعرك بها، تشعر معها انك ملكت الدنيا.
ما كان يميز بحق كانت نظرتها في التحدي تشعرك كانها لا تهاب احد، لا يوجد احد يستطيع التحكم بها، فهي حرة من كل شئ، تطير الي اعلي كلما اعتقدت ان هذا اقصي ارتفاعها تطير اعلي منه، كانت ثائره علي كل شئ، ترفض القيود، تسخر من القيم، مريان هي التجسد للسخط علي كل شئ و التحرر الاعمي، ربما لانها لا تمتلك اي شئ تخشي ضياعه، لذا استطاعت ان تتحرر من كل مخاوفها.
عندما دعوتها الي شقتي لم ترفض و تتمنع، لم نحصل علي قسط من التعارف الطويل، كانت علاقتنا قائمه علي الوضوح، لماذا اختلق القصص للحصول علي متعتي منها ؟ تعرف جيدا انني اشتهيها، و هي بالمقابل تشتهيني، فكانت العلاقه اسهل مما اظن.
و مع تعدد لقائتنا حكت لي اكثر و اكثر عن نفسها و عن فتيات الاخري ، كانت مريان تمثل طبقتها بكل ما فيها من تناقض، كانت في مرات قليلة تحبرني عن رغبتها في الزواج، و اعتزال الناس و كل شئ و التفرغ لخدمة زوجها و تربية اطفالها، و تظل تخبرني عن امانيها، الي ان ياتي اللقاء الثاني، فاتلعن الزواج و تخبرني بانها

ولدت لتكون حرة، الزوج مجرد عائق امام الفتاة،
عاشت مريان زمن طويل كافتاة من فتيات الطبقة الوسطي و الطبقة الوسطي هي طبقه فوق خط الفقر بقليل، في تلك الطبقة تنظر الفتيات الي جسدهم علي كونه ابتلاء لهم، نظير ما يتعرضون لهُ من مضياقات و تحرش، بادني الالفاظ، لمجرد كونهم قد مروا من امام ذلك المتحرش، لا يجدون القدرة علي امتلك نظرة اغراء، لما يعنوا من قبح و عنف ضدهم.
فالفقر الذي يحيون فيه و يتجرعونه كل يوم في حياتهم البائسه، يلغي الشخصيات يجعلها مسخ، مجرد شبح يسير ليبحث عن ما يجعلهُ يستمر في الحياه، الفقر يجعل الانسان لا يعرف في الحياه سوي رغبته، لا يفكر الا في ادني وجود لهُ، الضروريات هي كل ما يستحوذ علي الفقراء.
الفقر يقتل العقول، يجعل الحيوان بداخلنا يتحرر من عباءة الانسان، هل تفكر الحيوانات في شئ الا الاكل و الجنس، هل تفكر الحيوانات في الزراعه ،الابتكار، الفن، الحيوانات تبحث عن البقاء و كذلك يحولنا الفقر نصبح غير مؤاهلين لنصير بشرا.
كم من المواقف التي تمر امامنها و نحن لا نلتفت اليها من الاساس، اتذكر تلك الفتاة التي كادت ان تقتلها ولدتها من الضرب امام الناس لم يتدخل احد لانقاذها حتي جريت تلك الطفلة تستنجد باحد السائرين لتحمي بيه من بطش ولدتها.

اعرف الكثير عن الفقر ،فانا اعيش معه و اراه كل يوم، فقدت الام انسانيتها و انا علي ثقه انها سوف تربي ابنائها علي الفقر، فايقتلهم الاشتهاء و التمني ليعشوا حياه مملة تاعسة يتزوجون فيها لينجبوا اطفال يذقون ما ذقوه هم في طفالاتهم، و هكذا تسير عجلة الحياه و الفقراء فلا يتعلمون ان هناك وقت لابد لنا فيه من التوقف عن الانجاب و ملا البطون.

حكت لي ايضا عن محاولاتها للزواج، احبت يوما مرة واحده، لكنه كان مثلها فقير، انتظرته ثلاث سنوات، و هو ثابت مكانه لا يتحرك كل مرة يتحجج بالظروف و غلاء المعيشه، حتي ملت منه و مع اول عريس قدم اليها واقفت و تزوجت، لم يفلح الزواج طويلا، فلم تمضي اكثر من سنه و انهار زوجها، فاصارت تمنح جسدها للمتعه و للمال.

كانت دوما تخبرني بانها عاشت حاله من الانعزال بسبب القيود، جسدها لم يكن ليغري احد من الطبقات العليا لكنها تعلمت كيف تاتي بفرائسها و هم من يظنون انهم من من اوقعوها.

صدقت قصتها في انا اعرفها عن قرب و اعرف ان جسدها ليس مميز ، لولا عينيها ما كانت لتمتلك كل هذه السطوة، كانت عينيها كلمة السر، كان بها شئ اكبر من الرغبة، و الاشتهاء، نظرتها استطاعت ان تمزج بين الاشتهاء و الرغبة و البراءة، ان تفعل هذا و مازالت تحتفظ بكونها انسانه لا تمارس الجنس مقابل المال، لم

تتحول الي مؤمس.
لم تعد تغني في البار، و اخبرتني انها ستغني في مكان اكبر لكنها لم تخبرني باسمه، عرفت حينها ان صيدها اراد ان يمتلكها في اي وقت، دعوتني لحضور حفلة خاصه بهذه المناسبه، لم اتردد لحظة و وافقت علي الفور.
كانت حفلة خاصه جداً لي و لها، تناولنا الطعام الذي اعددنا سوياً و شربنا الخمر حتي ثقلتْ رؤاسنا، ثم قدتني الي السرير و هناك رايت سمية في مريان، لم استطيع ان امنع نفسي من السادية، كان الامر ممتع لي كثيراً فقط حرمت كثيرا من ممارستها مع من سبقوها.
سالتها هل تريد ان نستمر، اجابت بالموافقه، ثم اخبرتني هسماً انها تحبني لانني لم اطمع فيها، لكني اقل من طموحها، لذا كان علينا بالاكتفاء باللقاء سراً، و لقائتنا العابره.
امتلكت بعد ذلك مفتاح شقتها، و كنت اذهب اليها متي اردت، لم تكن تقابل صيدها في هذه الشقه، لكن مصائرنا تقدنا، لا نحن من يقدها، في ذلك اليوم حدث كل شئ بسرعه، لم ارد الذهب الي العمل في ذلك اليوم، ذهبت الي محل ورود و اشتريت الورود لها.
كنت اعرف انها تعشق زهرة التوليب، احضرت الورود، و دخلت الي شقتها، عندها سمعت صوت ضحكتها، تلك الضحكات التي كانت تصدر عنها عندما اعتليها، لم اعرف ما العمل ؟ هل اذهب

ام اقتحم المشهد لافسد كل شئ ؟
كنت قد شربت بضع الشوتات من زوجاجة الويسكي التي كانت قد اهدتهالي في عيد ميلادي، لم استطيع ان اعرف ما العمل، فاوجدت نفسي اقتحم عليها الغرفه و اذ بذلك الخنزير يجلس بين فخذيها و بجانبهم تلك العاهره التي احضرها معه، الخنزير يعتليها، يفرغ بداخلها شهوته، و انا متفرج لا اعرف ما العمل.
اعرف انها تترك الكثر من الاغنياء يعتلوها، لم امانع، مريان ليست قديسة، رغم ذلك احبتني و احببتها، دارت الاسئلة في عقلي لثواني، لكن الخنازير ترفض دوماً الصمت، الخنازير تتحدث في الاوقات التي ينبغي لها الصمت، الخنزير التي تاكل الروث، تصيح في وجوهنا بالصمت لتتحدث هي، يالا وقحاتهم اولاد .....
فاتعلم يا سيدي و لتعلموا كلكم لو انه صمت، لو انه لم يتفوه بتلك الحماقات التي خرجت من فمه، كان يمكن ان يختلف الامر، لكنه رفض الصمت، تحدث الىّ بنبره تملاها الوقاحة، كان مثل كل الفاسدين، مجرد مسخ منهم، اذا رحل سيحل مكانه مسخ اخر.
لذا لم اهتم كثيراً باهمية بقائه علي الحياه، قمت باخذ تمثال كان موضوع بجانب السرير، و ضربته بيه، و لم استطيع ان اقتل مريان، لذا طلبت منها المغادرة، علي وجه السرعة، و شارعت في قتل و تعذيب الخنزير، لقد صنعت من جسد هذا الخنزير عمل

فني بديع، يمكن ان يضاف الي جانب اعمال سيلفادور دالي و سيراليته.
ذهبت الي المطبخ و احضرت سكين، و انت تعرف يا سيدي، ماذا نفعل عندما نهان من هؤلاء الخنازير، كانت ضربتي في بطنه، خاطفة و سريعه جعلت دمائه تتطاير و ترسم خط بالعرض و شكلت بعض البقع حوله علي الجدار الملاصق للسرير، تغير لون المكان، اصبح الاحمر يزينه.
كانت الدماء علي الجدار لوحه بديعه، ربما افني ذلك الخنزير حياته كلها لياتي اليوم الذي استخدمه لارسم من دمائه تلك اللوحه البديعة، ظللت اكثر من ساعة استمتع بتعذيبه و قطع اجزاء من جسده، يصرخ و لا احد يسمعه.
لذا يا سيدي، صدقني عندما اخبرك بانني لست اسف او اشعر بالندم، لقد صنعت يا سيدي لوحة بديعة من جسد هذا الخنزير، لذا لا داعي للندم، سياتي من يقدر فعلتي، سياتي من ينظر اليٍ كافنان و ليس كاقاتل مجرم.

٢٠١٨/٥/١٥

عشة الحمام

كانت سهام الشمس المبعوثه قد صارت هزيله، و اوشك المغيب ان يحتل السماء، بدأ الظلام ينسج خيوطة حول اشعه الشمس، فاختفت الحركة و اصبح دبيب الناس علي الارض ابطي من ذي قبل، استمرت القريه علي المحافظة علي عادتها في انهاء الاعمال في الصباح و اغلاق المحال الغير ضرورية في المساء.
مع المغيب بدأ الجميع يعود ادراجه، فقد حان موعد الانتهاء من العمل، كان يعبر الفلاحين بالابقار الطريق السريع الذي انشي حديثاً علي ضفاف النيل لربط بين وسط البلد بمنطقتهم النائيه، لم تكن السيارات تعبر بكثره، لذا كانت الماشيه في مأمن عند العبور.
كانت الساعه تشير الي الخامسه و النصف عندما فرغ طه من عمله كا مراسل في احد الجرائد، كانت الجريده التي يعمل فيها تقع بالقرب من منطقة جاردين سيتي، لذا كان عليه ان يجد وسيلة للنقل تنقله اقرب محطه ممكنه ليستطيع العوده الي قرته، اشتري علبة سجائر فور خروجه من الجريده.
فك ازارا القميص الاولي، لشعره بعدم القدره علي التنفس بشكل طبيعي، حاول ان يقف فلم يستطيع التماسك، فاجلس علي

جنبي الطريق، فكر في ان يستلقي علي الطريق، ثم عدل عن الفكره، نظراً لكونه يرتدي قميص ابيض، سيصعب عليه تنظيفه من الاوساخ التي ستعلق بيه.

ظل جالس ينظر الي الطريق قليلاً دون اي فعل، ثم وقف، و سار قليلا، حتي وجده قهوة علي الناصيه، جلس هناك و كانت حالته في تحسن فاطلب فنجان قهوة، غاب الرجل ثم عاد بالقهوة، عندها كانت حالته قد تحسنت، فاشغل سجاره اخري، و شرف اول شرفاته من القهوة، ظل يدخن سجارته في استمتاع، هنا تقريباً كانت المرة الاولي لهُ التي رأي فيها ليلي.

كانت جميله علي نحو استثنائي، لكنها كانت تريد كل شئ، الحب، المال، الصداقه، الجمال، و الحكمه التي تعلمها من قبل ان لا احد يملك كل شئ، لذا لم تكتمل علاقتهم سوياً.

كان هناك شئ غامض فيها، جانب مظلم لا يعلم احد عنه شئ، حتي في لقائتهم العابره في شقتها، كانت دوماً ما تبكي بعد الانتهاء، فايغادر الشقه و هو يسبها، فاتمر بضع ايام ليجدها تتصل بيه، يلتقوا ليتحدثوا، تبدي رغبتها في النوم مجدداً معه فايتردد، لكنها تملك سطوه تجعل عزيمته تنكسر امامها.

انهي قهوته و غادر، و سار قليلا الي ميدان عبد المنعم رياض، و وقف ينتظر قدم اي سيارة ذاهبه الي حلوان، ليستقلها، مرة ربع ساعه و لم تاتي اي سيارة، فانظر الي علبة السجائر فاوجد انه قد

دخن اكثر من نصفها فابتسم ابتسامه ساخره، و استغرب كيف اصبح مدخن بتلك الشراهه.

جاء اتوبيس النقل، فقفز اليه و جلس بجانب الشباك و ظل ينظر الي شط النيل و يتسأل عن حياته و المخذي من كل شئ حوله.

فور عبور الاتوبيس مصنع طرة للاسمنت ظل ينظر الي المصنع البعيد و الي حجمه كانت الاضواء المثبته عليه تثير فيه الشجون، كان قريب و بعيد مثل كل شئ في حياته، لم يفق من تسالته حتي وجد يستعد للوصول الي محطته الاخيره، نزل بميدان حلوان، وجد هناك فتاة من قريته تقف بعيدا نسبيا عن الموقف، سار اليها في خطوات ثابته، و سالها اذا كانت تنظر احد، ظهر علي وجها الخجل و التردد في الاجابه ... ثم اخبرته بالنفي... ثم مرت ثواني قليله قبل ان تنطق اخر، فظل واقف امامها، فلم تجد هي مفر من الحديث معه فاخبرته انها تنتظر قدوم اي مواصله لتاخذها الي القرية، و انها تقف منذ نص ساعه لم تمر اي مواصله متجها للقرية بعد.

عرض عليها السير معاً للوصول الي قريتهم، كانت الساعه حينها السابعه، فاوقفت، اخبرها ان اسمه طه، و هي اخبرته ان اسمها سميه، اخبرها انه صحفي، فاخبرته انها انهت دراسة التجاره منذ خمس سنوات.

و انها تعمل في بنك في المعادي، اخبرها عن علاقته بليلي فاحكت

له انها لم ترتبط الا مرة، كانت في الجامعه، و لم تجرب الامر مرة ثانيه، و انه تم خطبتها و بعد ثلاث اشهر ستتزوج، عندما وصلوا الي اطراف القريه، اخبرها انه ياتي في ذلك الموعد دوماً فاخبرته انها ستنتظره في الغد.

عندما وصل طه الي بيته، لم يذهب الي شقته بل صعد علي الفور الي السطح ليري عشة الحمام خصته، كان منزل اسرته مكون من ست طوابق، و كان ارتفاع العشه يساوي ارتفاع طابق، لذا كان يشعر بانه موصول بالسماء.

كان اعلي المنازل في منطقته لا يتجاوز الاربع طوابق، فوقف فوق عشته، و ظل لثواني ينظر الي الاسفل و ينقل بصره الي الاعلي، ثم جلس قليلا، بعدها اراح جسده علي سقف العشه، و ظل يتامل السماء، و ينظر الي السماء و النجوم تزينها، كان يحب هذا الوقت من اليوم.

ثم تذكر ان الشياطين تطلق في هذا الوقت كما اخبره جده مراراً ان الشياطين تذهب الي البيوت و تقيم فيها في هذا الوقت من اليوم، فاستعاذ بالله من الشياطين، انصرف ذهنه الي جده، الذي كان في مكانة الاب الروحي لهُ.

هو من علمه كل شئ في حياته، حين انشغل ولديه بجمع المال، انشغل جده بتعليمه الحياه، و هو بالمقابل ورث عنه كل صفاته، فكان قليل الكلام، يحب ان يستمع الي الناس، و يتحدث فقط

ان لزم الامر، كما انه ورث عن جده عشة الحمام و حبه للحمام بشكل كبير.
فكان قلبه معلق بالحمام، ينظر الي اسراب الحمام الذي يحتل سماء منطقتهم و يتاملهم في اعجاب شديد، عرف منه كيف يتعامل معاهم علي هذا الارتفاع، فكان يصيح لها لتطير لاعلي، ينشر الحبوب لها لتهبط لاسفل، يعرف حمامته واحده واحده، كان الاوقات التي يقضيها في عشة الحمام هي الاسعد بالنسبه لهُ، فابعد القبض علي صديقه مراد لمشاركته في التظاهرات صار طه يعيش وحيداً.
نظر الى البيوت اسفله و للناس، شعر بالدوران قليلاً، فمازال يخاف النظر للاسف عندما يكون علي علو كبير من الارض، لعنة فوبيا المرتفعات مازالت تطارده، عندها ظهرت الناس من ذلك البعد انها مجرد لون يتحرك، لم يستطيع ان يتبين ملامح احد فى الاسفل الكل يشبه الاخر، فلا فرق جوهرى بينهم، فكر قليلاً فى هذا الامر ثم اكد لنفسه انه لم يعد يعباه بهم بعد الان.
كان فى السابق يعرف الكثير من الناس و لهُ العديد من الصدقات كان اجتماعى لدرجه كبيرة، يعشق المساء و السهر، كان يذهب الي جلسات المدح بصحبه جده و مراد ليمدحوا الرسول، تعرف في تلك الايام علي عدد كبير من الناس، و كان لصوته القوي الرنان، فعل السحر، فاكان يحفظ التوشيح و يرددها علي السمعين.

كان اجتماعي لدرجه افقدته القدره على ان يكمل على هذا النحو مجددا، خصوصاً بعد تلك الحادثه التي ظلم فيها اشد ما يكون الظلم، لم يقف بجواره احد سوي مراد لقد خضوا سويا حرب لم يكن ليهم طاقة بها، لتبراء طه من جرم هو لم يفعله، و ظلمه الجميع، حتي اقاربه اتهموا منه، الجميع ابتعد عنه وكانه كلب اجرب.

علم حينها ان الناس التي تحيط بيه مجرد ادوار و ممثلين يتبدلون علي خشبة المسرح، لكنهم جميعاً لا يصلحون ان يكونوا الابطال في تلك المسرحية، دور الكومبارس هو اقصي ما يستطعوا ان يقدموا، و في الحياه ان تعلم الحقيقة اسوء بكثير من العيش في الاكاذيب، للحقيقة ثمن كبير ندفعه حين نعرفها، حينهاعلم انه كان احمق.. ساذج.. ليس هناك معني ليكمل حياته مع هؤلاء.... لذا اختار ان يكمل في طريقه الخالي من الجميع.

كانت وحيدته و انعزاله يقتلوه، لكنه لم يستطع ان يتحدث مع احد فمع اختفاء مراد لا يوجد من يتحدث اليه من ابناء قريته ، حتي سمية تلك الفتاه التي سار جابنها، لو عرفت انه صاحب تلك الواقعه لابتعدت علي الفور، و اصدقاء العمل يظلواصدقاء العمل، لا يمكن لهم ان يصبحوا اكثر من هذا.

قراء في تلك الاوقات كثيراً وتوقف كثيراً عند رواية كافكا التحول، و وجد فيها ما كان يشعر بيه، اغتراب الوجود، شعر بنفسه في

معاناة البطل، الذي كان يريد الذهاب الي العمل حتي و هو حشرة.. راد بطل كافكا ان يعمل ليظل اهله في احسن حال، لكنهم في المقابل ابتعدوا عنه لانه تحول الي حشره.
هكذا راي طه اهل البطل و الناس الذين انفضوا عنه، مرت فتره طويله عليه يريد ان يتحدث فيها عن نفسه، مخاوفه، قلقه، حزنه الذي لا يعرف سببا لهُ لكنه يغزو حين يحل الليل عليه، يشعر بالوحده و الانعزال، يشعر بان الكون اضيق من ان يتمدد فيه و يشعر بالارتياح، كانت معاناته اكبر من ان يحكيها لاحد و كلما حاول الحديث يجد ان الكلمات تختنق في فمه، و كانها تحارب من اجل الخروج ، لا تملك الكلمات سوى القتال لتعبر شفته ليسمعها من يحدثه.
اخذ يفكر في ما الت ايه الامور، كيف صارت الاشياء باليه في عينه بهذا الشكل العجيب، و هو من كان يتمنى ان حياه ابد الدهر، كيف طمست الحياه بداخله بهذا الشكل العجيب؟ كانت فكرة الانتحار تستحوذ عليه، ان تمتلك الحل في يديك لنهاية اللعبة كان يشعره اوقات بالراحه، انا استطيع ان انهي اللعبة في اي وقت، لكنها ظلت فكرة تاتيه من حين الي اخر، و كان متاكد انه لن يفعلها.
كان يصبر نفسه بقصة سيدنا يوسف و كان مثله، الجميع يعلم برائته، الجميع يعلم صدقه، هي من رودته عن نفسها، هو من

رفض، القصة تعاد مجدداً، و مازال يوسف سجين و مازالت الفتنة حرة طليقة.
كل ما يعيبه فقط انه كان ساذج، و كونها تمتلك سطوة عليهم نظراً لثراء زوجها، صدقوها، هتفوا لها بانها البرئية، المال جعل المستورين يقذفونه بالحجارة، يصيحون في بوجه بالمغتصب، و هم يعلمون بانه برائ، لكنهم ببساطة يعبدون المال، المال و العطاية التي يوزعها عليهم زوجها كافيلة بان يقتلوا.
شعر بهم و سماحهم علي كونهم هكذا يسبحون بحمد من يعطيهم كسرة خبز، هتفوا لجده، عظموه عندما كان يعطيهم العطايا و الهيبات، و الان يتطولون علي حفيدة لانه لا يطعم بطونهم، لانه ليس بثراء جده.
حاول البعض افتعال الخناق معه حينما مر علي قهوة و كان الزوج متواجد، سبه احد المستورين، لم يجيبه فاواصل السباب لهُ، عندها لم يتمالك نفسه، تقدم نحوه في ثبات، و لم يتعارك معه، فقط نظر في عينه و بصق علي الارض، و صاح فيهم « اي ابن وسخه، نسي اصله، نسي الاقدام اللي ياما بسها علشان ينام شبعان، شويه الكلاب اللي جاعت بلاش تنسي مين سيدها»، اخرصتهم كلماته، لم يكن بذئي الالفاظ، لكنه اهين و اهينت كرامته، و لا يوجد اعز من الكرامة.
و قف علي عشته و بدا يصرخ بكل ما اوتى من قوه، كان يصرخ

و كانه يحارب الحياه و من فيها بهذا الصرخ ، كان يصرخ ليحيا، يصرخ ليثبت لنفسه انه ماذال حياً، مازال بداخله صوت، كان هناك جزء بداخله يموت كل بمرور الوقت مما جعله يعتاد ان يلتزم الصمت، كان صمته اقوه منه، كيف لا تموت روحه و هو مازال مستمر في صمته؟ لا احد يستطيع ان يصمت كل هذا الصمت بدون ان تكون روحه قد تاكلت و تحللت.

بداء يعدل من جلسته و يتامل الحمام الذي قد هبط ليتناول طعامه اسفله، و تسال هل يمتلكون مثلنا قلوب، هل يشعرون بهذا الضجر من الحياه و من فيها، هل الطيران هو حريه بحق ؟ ام انه مجرد ادعاء، فالطيور مثلنا مقيدون بالسماء، حتي و ان استطاعوا الوقوف علي الارض.

علي بعد ثلاث بنيات منه حيث العماره حديث البناء المبنى الوحيد الذى يستطيع النظر و رؤية من فيه بوضوح نظراً لارتفاعها هي الاخري،كان هناك شباك مفتوح، ظهر منه فى البدايه ظل احد يتحرك لكن سرعان ما ظهرت فتاه في منتصف العشرينات كانت جميله لدرجه اشعرته انها ليست بشريه.

لم يتبين ملامحها لكن شعرها الاسود المتسرسل علي ظهرها كان واضح، تصاعدت بعض الموسيقي من غرفتها رغم ضعف صوت الوسيقي كان يعرف ذلك الحن بسكاليا، كان يعشقها يشعر بحزنه وسعادته فيها، تلك المقطوعه كان بها شئ من الحنين و

مزحة من العشق.
بدءت الفتاه تتمايل بجسدها يميناً و يساراً و لاسفل و لاعلي على انغام الموسيقى، صار جسدها يهتز بشكل منتظم، حينها وجد نفسه يتمايل مع تمايلها، و شعر انه يرقصها، شعر بانه قد غادر العالم يذهب الي ملكوت اخر لا يوجد فيه الا هو و تلك الفتاة.
كان رقص تلك الفتاه يشعره انه يسبح في الفضاء، لم يشعر بنفسه و لا بمن حوله، ازاحت رقصتها و تمايلها عنه رادء الحزن ، تمنى حينها ان تنظر له ، تمنى ان يخبرها انها اجمل ما راه في حياته، و انه لم يكن يشعر بالحياه منذ امد بعيد، الرقص اعاد لهُ الحياه من جديد، من كان يعتقد هذا الامر، من كان يعتقد ان هناك شئ يمكن ان يعيد الروح للميت.
المعجزة هاتحدثتلهُ، الشهوة ماتت، فقط شعر بانها تناديه بتلك الرقصات، و كانها تتمايل من اجله، لتزيل عنه احزانه، شعر انها تخبره انها تعرف كم يعاني، لذا ترقص لهُ، تخبره بطرقتها بان هناك من يفهمك و يحاول ان يقولك هذا.
مرت دقائق و هو فى حاله من التوحد معها و مع رقصتها، و عندها شعر بالوخذ الذي كان يسخر منه، انتهت الموسيقى و انهت الفتاه رقصتها و وقفت تنظر من بلكونة منزلها الي السماء حينها فقط رايته، رايته ورايت دموعه التي قد تساقطت رغماً عنه، حاول ان يقاوم دموعه لكنها هزمته، تساقطته على خده

، فابتسمت لهُ، و حيته، ثم نادت عليه باسمه، و طالبت منه بالقدوم اليها.

لم يصدق طه هذا الامر، ظل ينظر اليها و هو غير مصدق ما يدور حوله، هل يحلم الان ؟، ام ان هذا الامر حقيقي، و عليه ان يهبط و ان يذهب اليها لكي لا يضيع تلك الفرصه عليه ليبدا حياته من جديد، لم تنتظر الفتاة فاشارت لهُ انها ستلقي بنفسها و بداءت في تنفيذ انتحارها.

بداءت تتمايل للامام و تضرب بجسدها سور البلكونه، كانت محاولتها الاولي ضعيفه، ثم توالت المحاولات و بداءت تضرب السور بعنف اكثر، و كانها تريد ان تستدعيه و تبين عزمها علي الخلاص.

كانت تحاول جاهده ان تخبره ان ياتي ليضع البدايةلقصتهم معا، كانت تخبره بضربتها بانهم يمتلكون القدرة علي الحياه و السعاده و ان كل الاشياء و العراقيل التي نضعها في طريقنا للحياه ما هي الا مخاوفنا.

لماذا لا تشاركني الرقص و الحياه ؟

لماذا لا تخبرني باننا احياء رغما عن الجميع ؟

كانت تصرخ بعلو صوتها بانها لا يعيبها انني لست مثل احد، كانت تصرخ بانها علي استعداد ان تضع النهاية بنفسها او البداية لها و له معا، عندها هبط من عشته بسرعه و جرى فى الشارع

للوصول الى شقة الفتاة المجهولة ، كانت حينها دموعه تتساقط منه بغزاره و هو يتمتم ببعض الكلمات الغير معلومه.

٢٠١٥/١٠/١٧

فنجان القهوه

الوحده كانت عنوان فصل حياتها في تلك الايام، لكل فصل في قصة حياتنا عنوان، لذا كانت الوحده هي عنوان هذا الفصل الممتد لست سنوات، الجامعه و ما بعد الجامعه ظلت وحيده، تعرفت علي الكثير من المعارف لكنها لم تستطيع ان تكون صداقات، الزيف الذي كان يغلف العلاقات كان يربكها و يجعلها تنفر من تلك العلاقات، كيف تبتسم و تاخذ بالاحضان من تعلم جيداً ان الكراهية بينهم متبادله.

تلك العلاقات الاجتماعية المعقدة كانت تجعلها تشعر دوما بنفور لذا لم تسطيع ان تكون صداقه حقيقية، علي مراحل حياتها، و كان لكون اسرتها كثيرة التنقل و لا تستطيع أن تستقر في مكان لمده طويلة نظراً لعمل والدها، جعلها تتمادي اكثر في عزلتها و الابتعاد عن الناس، لذا كانت الوحده عنوان جيد لهذا لتلك الفترة.

كانت في مقابلة عمل و في اثناء الانتظار قابلته، جلس بجانبها، حاول التعرف عليها، لكنها لم تعطيه الفرصه لذلك، حاول الحديث معها صدته، حين حاول ان يسأل عن نتيجه المقابله لم تعطي لهُ

بال.
مضي اسبوع و تم تبليغها بانها قد قبلت في الوظيفة، شعرت بالسعاده حينها، و في اليوم التالي للعمل، وجدته امامها، شاءت الاقدار ان يجتمعوا معاً رغماً عنهم، حاولت انتتحاشي صدف الاقدار.
اردات ان تكمل في عزلتها التي قد الفتها و صارت جزء من حياتها، لم تعرف كيف التعامل مع الاخرين لذا ارادت ان تكمل في عزلتها فاختارت ان تجلس بجانب الحائط، في اخر المكاتب، وجدت فتاة تجلس بجانبها في مثل عمرها خمرية البشرة، تسمي سلوي.
ظلت لاسابيع الاولي للعمل مملة و عسيرة عليها، لكن سلوي كانت بين الحين و الاخر تقدم لها يد العون، كانت تهون عليها عزلتها و رويدا روايداً استطاعت سلوي ان تكسر حاجز العزله ف نفسها و ان تجعلها و لاول مرة في عمرها تحصل علي صديقة.
كانت سلوي صادقه في كل شئ، ليس من النوع الذي يمكنه ان يخفي مشاعره، ربما لهذا كانت حدة الطبع و سليطة اللسان قليلاً، رايت في نور انها مثلها لا تدعي شئ لذا احبتها و صاروا مقربتين، شعرت اسرة نور بالسعاده من اجلها، فقد بدأ تكسر نور حاجز انعزلها، و صارت تضحك و تتحدث اغلب الوقت، قضت نور علي انطوائيتها بوجود سلوي في حياتها و بجانبها، و مع ذلك استمرت في الخجل عند الحديث مع الاخرين.

مضي علي وجود نور ثلاث اشهر، حتي جاء موعد حفلة الشركه التي تقام لتقيم ما تم انجازه في الفترة الماضيه، كانت القاعة مزدحمه بكل المواظفين، لم تجد هي و سلوي مكان للجلوس، فظلوا واقفين في احد اركان القاعه، عندها تقدم اليها ذلك الشاب الذي صدته يوم مقابلة العمل.

- صباح الخير.
- اهلا.
- لو تحبوا تشاركونا الطاولة.

شكرته نور و ارادت ان تبتعد فاتحدث سلوي معه و بعد ثواني كانوا جلسين سوياً علي نفس الطاولة.

- تحدث الشاب بان اسمه خالد، يعمل في مجال IT بالشركة، كان يجلس معه صديقة معتز، و تحدث عن كونه و معتز اصدقاء منذ الصغر، و ان معتز هو من اتي بيه لهذا العمل.

عرفت نور نفسها هي و سلوي، و ظلوا طوال فترة المؤتمر يتحدثون حتي اصبحوا اصدقاء، و تعددت لقائتهم في الشركه و خارجها حتي صار وجود خالد و معتز في حياة سلوي و نور شئ اساسي. كان يبدو علي معتز الخجل الشديد فا كان قليل الكلام، ظهر انجذابه لسلوي من البداية و لم تمانع سلوي من الانجذاب اليه، لم تمر اكثر من سنه علي صداقتهم حتي اعلنوا عن خطبتهم.

حينها كانت مشاعرها تجاه خالد بدأت تطفو الي السطح حاولت

مراراً كبتها لكنها لم تفلح، جاءت فقرة الرقص في حفل خطبة معتز و سلوي تقدم اليها خالد طلبها للرقص، لم تمانع عندما قربه الي صدره و همس لها بكلمه واحده (بحبك).
ثم انتهت الرقص، لكن قلبها ظل يرقص،لم تصدق ما سمعت و ظلت تتسأل هل ما حدث حقيقة ام مجرد حلم.
جاء اليوم التالي مغير لكل شئ في حياتها، دعاها خالد للافطار معاً في مقهي بحي جاردين سيتي يختفي بين الاشجار الكثيفة هناك، كانت تعزف هناك اغنية « في مرة من المرات « كانت الكلمات جديده عليها احبت الاغنيه و ظلت تردد مقطع:
«في مره من المرات ...
السور ما بينا مات و صرنا كائن عجب ...
شوية نور علي دي في مره من المرات».
ارتبكت قليلاً، فامسك بيديها حينها شعرت بتضارب في مشاعرها، عرف كيف يجعلها تشعر بالامان، في تلك اللحظة لا تعرف لماذا شعرت بان الحزن صار يختلط بالفرح عندها، لكنها كذبت نفسها و اقنعت نفسها ان هذا الشعور فقط لانها اول مرة لها تحب و يخبرها احد بمشاعره نحوها، و اخبرت نفسها بان من حقها ان تحيا هذه اللحظة دون أي خوف من الغد.
لا تعلم كيف آلت الامور الي هذا النحو من الزهد و الملل من وجودهم في حياة بعضهم البعض، لكن لكل شئ نهاية.

لقد امتدت علاقتهم الي اكثر من سنه و لم يتم اتخاذ أي قرار حقيقي فيها، يتحدث خالد بانه ليس مؤهل لاتصبح علاقتهم رسمية بعد، ثرثر كثيراً عن انه يتنظر اللحظة المناسبه التي يتثني لهُ فيها ان ياخذ تلك الخطوة فامرت سنه و لم تاتي تلك اللحظة بعد.

و في خلال هذه السنه قام بتفكيك شخصيتها، قبلت كل هذا التحكم لتصبح معه، قبلت ان يبدلها لتصبح كما يريد، قبلت ان تصبح مسخ ليس لها شخصيه او وجود الا بوجوده، و برغم كل تلك التضحيات لم تكن كافية لتجعله يتاخذ خطوته التاليه.

بدأت علاقتهم يصبها الملل و الفتور، اصبحت اختلافهم اقوي بكثير منهم، صاروا مع مرور الوقت غرباء عن بعضهم البعضهم، لذا كان لابد لهم من هدنه.

الافتراق لفترة ليحدد كل شخص مدي احتياجه الي الاخر، في تلك الهدنة اخذت هي اجازة من العمل و من العالم، اغلقت هاتفها، اقفلت كل السبل للتواصل معها حتي انها استاجرت شقه صغيره لتحيا فيها، تتردد علي مقهي كانت تذهب اليه مع خالد، لكنهم هجروه بمرور الوقت.

لم يخطر في بالها ماذا ستطلب مشروبها لاول مرة، كان دوماً خالد هو من يتخذ القرارت، لكن هذه الايام هي ملك نفسها، لابد لها من التحرر من سلطة خالد عليها، لابد من التحرر من كل شئ

يقيدها.
لماذا تتبعه ؟
كان يلح عليها هذا السؤال دوماً، كانت تجيب بانها تحبه ولا تريد ان تفقده، في تلك الاثناء لم تدري انها تفقد نفسها، لذا كانت لابد لها من التوقف، الحب ليس كل شئ، لكل شئ نهاية، حتي الحب ينتهي بمرور الوقت ولا يبقي منه سوي الذكريات.
كانت مجرد مراهقه تركت حبيبها يعبث بها و بشخصيتها بدافع الحب، اذن لماذا لم يقبل هو بها كما هي بدافع الحب ايضاً ؟ لذا اخبرت نفسها تكراراً بان هذا النوع من الحب لابد من نهاية لهُ.
طلبت قهوة، احببت ان يكون اول مشروب لها اكثر شئ يكره خالد، ثم جلست تتامل فنجانها النصف ممتلأ و تتذكر كم من الافكار التى قد بثها هذا الفنجان فى اصحاب التنمية البشريه من بدايه جمله لا تنظر الى نصف الكوب الفارغ حتى الان.
حينها تسالت لماذا لا يصل اليها الالهام بَعد ؟
ظلت تمارس تلك العاده لمدة اسبوعين، تاتى الى المقهي في نفس الوقت، تطلب قهوتها و ترتشف بعضها و تجلس تنظر للفنجان تتحدث لساعات الى الفنجان و تكتب في مفكره صغيره ظلت تحملها معها اين ما ذهبت.
كانت تكتب تكتب ثم ترحل فى صمت، لم تجد من يؤنس وحدتها مثل فنجان القهوة، توالت الايام و صار الفنجان صديقها الوحيد

الذى يجيد الاستماع جيداً دون التفوه بشئ، كانت تحتاج الي الحديث و ان تريح صدرها من كل شئ، الاسرار، الافكار، الاراء، كانت تريد ان تفرغ ما في داخلها لتعرف نفسها من جديد.

فلم تجد احد يحسن الصمت مثل فنجان قهوتها، تذكرت اول موعد لها مع خالد كان على نفس تلك الطاوله كانت المقدسه لهما، اعتادوا ان يلتقوا عليها و يتحدثون منذ ان اللقاء الاول لهم منفردين بعد ان ابتعد معتز و سلوي بحكم خطبتهم ثم زواجهم و السفر خارج البلاد.

الان هو قد ابتعد عنها، و هى وحيده لا يملا فراغ حياتها سوي فنجان قهوتها النصف ممتلا المشابه لحياتها تقريباً.

حياه لم يملائها شئ على الاطلاق سوي خالد و بعض التفهات التى كانت تشغل بها وقتها من حديث فى التليفون الى الدردشه الي تصفح الفيسبوك و تتبع اخبار المشاهير، لكنها ملت من هذا الروتين الذى يملا حياتها، شعرت ان هناك شئ ناقص تحتاج الي ان تبكي بشكل حقيقي.

هناك حزن متسرب الي اعماق روحها، زلزال قد اسقط اركان حياتها التي ظلت تشعر انها ثابته، لم تكن تشعر بهذا الحزن من قبل، كانت تخبر الجميع بانها تافهه فلا تشعر بالحزن و الاكتئاب، و كان الجميع يضحك، ثم انقلبت المزحه عليها، الان صارت قادره علي الحزن، صارت قادرة علي الشعور بتلك الفجوة

التي تملا الصدر و تتركك تحيا في ظلام لا تعرف كيف النجاة منه ؟
لم تشعر بهذه المشاعر حين كانت منعزلة، تعلمت في تلك السنين ان الناس اسوء من الانعزال، الاخرين ياذونا بقربهم و يقضون علي ما تبقي منا برحيلهم.
الافتقاد صار عنوان فصل حياتها في هذه الايام، لا تفتقد خالد او سلوي، بل تفتقد نفسها، تنظر الي المرآة فلا تعرف نفسها، تخشي ان تطيل النظر، التغير الذي طرا عليها ليس بقليل، ما تنازلت عنه كان كثير، فقط ليبقي خالد في حياتهاو تلك التنازلات لم تكن بالهينه.
لكن هل قدر خالد هذه التنازلات، هل جعلته يحبها كما تريد، لا لم يفعل، لقد كانت الطرف الاضعف، هي من احبته كما يريد هو.
الان عرفت قبح ان تبقي متاح دوماً، الان تذوقت مرارة ان توافق دوماً، لو انها قالت لا في الكثير من الاوقات لكانت تفادت كل هذه المعاناه الان، لكنها اخطائت حين ظنت ان التواجد الدائم حب، ان الموافقه الدائمه اهتمام و تقدير.
لقد استيقظت من هذا البسات الذي عاشته لمدة سنه، لقد ملت هذا الوجه الغير مبالي، الان تشعر بكل شئ، تشعر بالوحده ، الحزن و الافتقاد، تشعر بان هذا العالم قاسي جدا، تغيرت من انطوائية الي شخصيه منفتحه حتي اصبحت بالتدريج تابعه

لخالد، لتجد نفسها تحيا في دواير مغلقه.
كانت تردد كلمات اغنيه ام كلثوم « صالحت بيك ايامي سامحت بيك الزمن» كانت تشعر بروعه الحب، ثم اكتشفت انها لم تحب خالد، و انها لم تسطيع ان تحب احد، فقط ارادت ان تشعر بالحب، عندها جاء جالد الي عالمها، جاء و ظنت انه الحب الذي لطلما انتظرته.
- كيف علمت هذا الامر ؟
كان تشغل بالها بالاجابة عن هذا السؤال، الهدنه كانت كلمة السر لكل شئ، لقد عرفت نفسها حق المعرفة في هذه الايام القليله، كان خالد متحكم فيها و في حياتها و هي بحكم انطوائيها لم تعرف الرفض، حين اخبرتها سلوي عن حبها لمعتز ارادت و بشدة ان تشعر بهذا الحب.
اخرجت تنهيده حين فكرت في هذه الاحداث المتلاحقة، ثم اكملت في التتنهيد و كانها ازالت حجر ثقيل عن صدرها، الان تستطيع ان تتحرر من خالد و من وهم حبهُ الذي كان يلازمها دوماً.
اكملت عادتها في الذهاب الي المقهي و بدأت في شراء الكتب و القراءة، اكتشفت ان القراءة هي شغفها الحقيقي، في الايام الاولي للهدنة كانت تحارب نفسها حتي لا تتواصل معه، كل يوم تتفقد صورهم سوياً و احادثيهم، تذهب الي محداثتهم علي الواتس اب،

و تستمع الي صوته، و تقراء كلماته التي بنت عليها احلام الغد، فايغلبها البكاء، فاتغلق الهاتف، لتظل تبكي وحيده.
مر شهر علي الهدنة، لم تكن تعلم شئ عن خالد او أي احد، صار لها الان حياتها و افعالها الخاصه،بدأت في التعايش مع فكرة انها خدعت و انها كانت مجرد تابع، كانت كل محاولاتها السابقه التي قامت بها علي استحياء لتخرج من دور التابع لخالد تفشل لانها ترفض ان تعترف بانها تابع ضعيف لا تمتلك الجراءة الكافية لتوقف تحكمات خالد بها.
حتي عندما قبلها كانت تشعر بالتقزز من نفسها، الجنس لم يكن من ضمن اهتمامتها قبل الزواج، لكنها لم تعلن عن رفضهابصراحه، عوضا عن الرفض ظلت ترفض ان يبقوا منعزلين عن الناس.
علمت في اوقات كثيره خيانة خالد لها، و كان خالد لا يتوقف عن النظر الي الفتيات العبرات امامهم في أي مكان يتوجدون فيه، حاولت في مرات متباعده ان تنبهُ لهذه الافعال، لكنه لم يهتم بالرد عليها، كانت في تلك الايام لا تمتلك شئ سوي خالد، اقامت عالمها عليه.
عندما افاقت من هذه الافكار ضحكت ضحكة سخرية مما كانت فيه، و اخبرت نفسها بصوت واضح « ابو الحب علي اللي عاوزين يحبوا «.
لقد تعافت بشكل كبير من خجلها و انطوائيتها لم تعد تكبت

مشاعرها، و ظلت الضحكة الساخره علي وجها عندما استمتعت الي اغنيه « في مرة من المرات « التي كانت تذاع في سمعات المقهي الداخليةو ظلت تردد كلمتها

«في مره من المرات ...

السور ما بينا مات و صرنا كائن عجب ...

شوية نور علي دي في مره من المرات».

لسبب ما لم تتبينه اتفقدت خالد، افتقدت شئ كانت تحبه او تشعر معه بالسعادة، ثم اخبرت نفسها ان البديات دوما رائعة، ثم ان الماضي يعطينا الحنين لكل شئ حتي لو كان هذا الزمن هو زمن المقصله و الموت .

اخبرت نفسها اذا اردت شئ قم علي الفور للحصول عليه، لكن لا تجلس و تطلب ان ياتيك ماتريد، لابد ان تعلم ان الحياه ليست سخيه تعطينا بدون مقابل، عندما تمعنت النظر في ارجاء المقهي وجدت نفسها القديمة و الجديده جالسه امامها، وجدت ان التغير الذي طرأ عليها ما هو الا رؤية و عدم خوف.

لماذا كانت تخاف غياب خالد عن عالمها ؟

لم تمت، لم تبكي ليل نهار، غادر و رحل و كان رحيله ليس بالدائم، لكنه ليس هنا، لن يعطيها الامر لفعل هذا او بالتوقف عنه، ربما خالد لم يحبها فقط طارق وحده من احبها بصدق و من كل قلبه، لكنها لم تكن مستعده لتلك التجربة في هذا الوقت، و كانت

تعرف ان رفض ليلي لطارق ترك شئ بداخله.
هي لم تكن مستعده ان تصلح ما بداخله، لذا عندما اخبرها بحبه لم تجبه و ابتعدت، لم تعرف عنه شئ، حتي وجدته علي الفيس بوك و نظرت الي صوره فلم تعد تعرف هل هذا طارق بحق ام لا ؟ تبدلت يا طارق و انا ايضا تبدلت كلانا كان يبحث عن الحب، و علي ما يبدوا اننا لم نجده.
كان طارق زميل لها في الجامعه، كانت علاقتهم تبتدي و تتوقف عند كلمة زملاء الجامعة، لم يتوقفوا في يوم للحديث، فقط يتبدلوا الملازم و المراجع لعبور السنه الدراسية، كانت تري نظراته الي ليلي التي يملأها الحب، و تري نظرات ليلي لهُ نظرات بارده لا تتواجد فيها أي مشاعر، ربما لتشابه نظرات خالد بنظرات طارق احبت خالد.
كانت تحب طارق لكنها لم ترضي ان تكون البديل لليلي، لو انه تقدم اليها و اخبرها بحبه لها قبل ان يرفض من ليلي لكانت اخبرته بحبها لهُ ايضاً، لكن الامور لا تسير كما نخطط لها.
بدأت في تدوين ايامها و ظلت تكتب حتي انهت اربع مفكرات، و كلما كتبت كلما تحرر فيها شئ، كلما انارت اكثر و اكثر، حتي شعرت بانها الان تستطيع ان تواجه خالد.
الضعف الذي كان تحيا فيه قد انكسر، الان تسطيع ان تواجه الجميع، لقد انكسر خوفها من الناس و الحياه.

الحياه مجرد لعبة لا يهم من يكسبها او يخسرها ، فالمبارات تعاد دوماً، و الفوز يصبح من نصيب المغامر، اقتنعت ان عليها ان تبدا بالمراهنة علي نفسها اكثر، ربما ستخسر و لكنها تاكدت انها حتما ستكسب جولات كثيرة اكثر مما تعتقد و تظن.

لذا ما تعلمت ان المكساب و الخسائر متشابهه جدا فلا تهتم في أي الطرفين انت كل ما عليك ان تظل تلعب و ان تعلم ان اللعبة لم تنتهي بعد.

لذا عندما اتطلت بخالد و طالبت لقائه، كانت تعلم ان المبارة لم تعد في صالح خالد و ربما الان هي من تمتلك مفاتيح الربح، لذا ذهبت و هي متاكده ان الربح من نصبها بكل ثقه .

٢٠١٨/٨/٢٢

غريب

اغتراب .. لم اتوقف عن هذه الكلمه قبل الان، الحياه سريعه الوتيرة، مثل عجلة السيارة، تظلتدور و تدور و انا اركض و رائها مثل الكلاب التي تجوب الشوارع في منتصف الليل، ابحث عن نفسي و اتسال عن الحقيقه و الصواب، لا اعرف شئ انا اجهل كل شئ، كل تلك المناصب الاكاديمية و الشهادات التي حصلت عليها لم تكن الا اكذوبة.

الحقيقة في مقابل الاكاذيب، ان نعرف حقيقة اننا نحيا في عفن، ام نظل نجمل ما نحن فيه و نظل نحيا بداخل فقاعة كبيرة من الاكاذيب عن كوننا افضل، احسن، اقوي، و نحن ضعفاء الجميع يسخر منا، نتهمهم بالتامر، الفساد، الرجس، و نحن لا ننظر الي انفسنا عين، لا نري الي من نضاجعهم، لا ننظر الي رواتبنا الشهرية من اين تحصلنا عليها !

لقد عرفت الحقيقة و دفعت ثمن هذه المعرفة، حصرت في « الاغتراب »،نعم هذا ما احياه بكل صدق، لابد لي من الاعتراف بهذا.

لا يوجد مفر او اي مهرب مما انا فيه و احياه، اننا مغترب عن

الناس و هذه البلاد، لا اعيش اغتراب وجودي، لكني ضائع، ابحث عن وطن، الحب، التقبل، ابحث عن نفسي.
تائه .. هائم .. ربما تلك المصطلحات تجد النفع مع غيرى.. اما انا فاحيا في اغتراب كامل ..مر عام علي منفي.. اصبحت غريب عن نفسي و عن الجميع، اشعر بالخوف كلما نظرت الي نفسي و الي الاخرين.
انظر الي ذقني التي قد كساها الشعر و الي لفافة التبغ التي لم تعد تفارق يدي، و اتعجب عندما اجد ان الشعريات البيضاء قد غزت شعري، ابدو كاكهل في العقد السادس بينما انا لم اكمل العقد الرابع بعد !
تبدلت لاخر، اخر يجهل الكثير و يحيا بدون هدف، ارى ذلك جيداً في عيون الناس الذين كنت اعرفهم هنا، عندما كنت اتي في المؤتمرات قبل المنفي، و اري بوضوح اكثر عندما تلتقي عيني بعين الغريب الذي صار يسكن جسدي في المرآه التي تفصل بيننا، هناك احد حي، و اخر لا اعرف ماذا حدث لهُ لكنه بعيد جداً عن ان يكون حي او متواجد، هو باختصار بعيد في فضاء خاص بيه، بحثت عنه كثيراً و لم اجده.
لذا ظل الاخر هو الذي يحيي و انا عالق في الامس و الاخر عالق في الان.. في اللحظة.. يمضي بلا تعقل، مثل احصنة السباق، هناك شئ ما يسعي لمنافسته و لابد لهُ من الركض و السعي للفوز.

عصفت بي الحياه، انغلقت بداخلي تلك المسام التي تجعلنى اواصل المضي قدما في الحياه، ان تصبح مغترب ليس بالشئ الحميد، كل شئ يلفظك بلا الا رحمه.

تنظر في مرآتك فاتجد انك تنظر الي شخص اخر، فاتخبر نفسك بتلك الحقيقه التى تتهرب منها، و تصرخ بأن هذا ليس انت !

تصرخ،تصيح،تسب، هذا ليس أنت، لقد مر عليٍّ هنا ٣٦٠ يوم....٣٦٠ يوم مرت عليٍّ كالجحيم، اسوء من ايام سجني جميعها، اتذكر تفاصيل تلك ٣٦٠ يوم كامله لا استطيع أن انساها لقد حفرت بداخل ذاكرتي، يجلدنى الاغتراب هنا كل ثانيه، غريب.. منفي.. محاصر.. تعبت من محاولاتى للفرار من المجتمع و نظرتهم لي.

كنت كاتب ثائر، بحثت عن الحرية، احببت أن أري وطني يخلع عنه رداء الفقر و الفساد، لكني كنت اضعف من هذا، كنت حالم في وطن شعبه يحيا داخل الجدران، كنت مثل نملة تحارب جيش من الاحصنه.

لم اتسطيع فعل شئ، كتبت، تظاهرت، هتفت، فعلت كل شئ، لكن حطام الوطن كان اثقل من ان احمله وحدي علي اكتافي، لقد سحقتني اقدام الاحصنه، و ظلت الاحصنة تركض في ارض الميدان تبحث عني و عن نزالي و انا تحت ارجلها مهشم.

كان يوم الخميس و كنت عائد من العمل امطرت السماء في

بدايه اليوم فابحببت السير قليلاً الي وسط البلد، كانت الشوارع شبه خاليه من الماره، سرت حتي منتصف الطريق، ثم شعرت بشئ يقع علي راسي، و لم اعرف ماذا حدث بعد ذلك.
وجدت نفسي مقيد بداخل غرفه مظلمه و هناك صوت يتكلم، لم استطيع فهم ما يقال، حتي جاء احد ما و ناولي عقار ما، لا اعرف ماذا تناولت و لكني استعدت وعي، ثم بدأ الصوت يتحدث مرة اخري، و اصبحت كلماته واضحه، كانت الاسئله عباره عن انتمائي، مقالاتي، من اصدقائى المقربين، بعض الشخصيات السياسيه التي قد التقيتها، ثم اختفي الصوت، و لا اعرف ماذا حدث لِي، لكني وجدت نفسي ملقي في السجن.
كان لابد من اتباع المثل القائل «اضرب السايب يخاف المربوط» لذا كان لابد من تضحيه اسفل درجات معابد السلطه ليتعظ العوام، لينظرون الي مصير الضحيه و يتحاشون سيل الدماء اسفل اقدامهم، يخافون ان يلطخون بالدماء التي سيلت من اجل ان يحيوا حياه افضل لهم.
قرأت كثيراً انه لابد من ضحيه اذا تواجد الجلاد،ضربت، انكسرت ارادتي، عرفت حقيقة كونا نمل اضعف من أى شئ، نمل معرض في اى وقت لتهشم و الانحساق اسفل نعال السلطه، نحن في النهايه نمل معد مسبقاً ليصبح مثل باقي النمل لا يعرف سوي العمل و تنفيذ الاوامر.

كانت سنتي الاولي في السجن هي الاصعب حتي اعتدت علي الامر، اسوء ما في الانسان هو التكيف، التقبل، الاعتياد، مهما كانت الامور سيئه لا تثور، تعتاد عليها مهما كانت تسحقك، غريزه البقاء اقوى منا جميعاً.

التشبث بالحياه يجعلنا نتمسك بيها حتى و أن كنا نحيا في الجحيم نفسه، نتوقع أن القادم اسوء مما نحن فيه، فانتخاذل عن التقدم، نخشي من النهاية حتى و أن لم نكن بدأنا من الاساس، المستقبل وحش مهجول الجميع يخشاه، لذا نتمسك بما نعرفه الأ و هو الان، اللحظه التى نحياها و نعرف ابعادها.

صارت الايام تتوالي في يسر و انقضت، حتى شممت نسيم الحريه، رايت الناس من جديد، لمست حرارة الاسفلت، مرت سنه علي بقائي بخارج السجن، حتي سافرت للخارج، تلقيت عرض للعمل باحد الجرائد الاخباريه، فكرت في الامر اكثر من مره، هنا لا استطيع التفكير، اصمت اكثر الوقت، اخاف أن افكر فما بالك بالحديث، هنا اختنق و اصمت، اضرب فاصمت، هنا لكل شئ وقت.

الاخ الاكبر الذي تحدث عنه اوريل، لم يكن سوي اخ مهذب بالمقارنه لما وجدته هنا، تعلمت في السجن أن اطيع الاوامر، نصمت متي قيل اصمت، نقف حين نسمع قف، نحيا حين يسمح لنا بذلك، نسخه واحده مكرر منا فقط تحمل اسماء مختلفه،

لا يحق لنا الحديث الأ حين يطلب منا الحديث بتلك الكلمات المكتوبه و المعده لنا مسبقا.

هنا لا يوجد حقيقه سوي المكتوبه و المتدوله لنا، غير ذلك مؤامرات و أكاذيب تهدف الي اسقاط الوطن، كنت من اعدائه كما قبل ليٍّ سابقاً، قضيت ثلاث سنوات في السجن لأتعلم من جديد حب الوطن.

لكن بداخلي كان هناك شئ يخبرنى باننى لن احب الوطن مثلهم، انا فقير، لكنى لا اتاجر بالشعارات، امنت بها، سعيت لتحققها، لكن ما اسهل الكلام و ما اصعب الفعل، لو كان سيزيف بيننا لكان اعترف بمشقة الامر، و لصارت صخرته اهون عليه من تلك القيم التي كنا نسعي لأن تسود بيننا، الحريه. العداله الاجتماعيه، الكرامه، ليست الأ شعارات جوفاء.

لذا سافرت، لم اجد احد يجعلنى اتوقف او يبكي لمغادرتي، لقد فقدت أبي منذ كنت صغير، و لم يكن لي اخوه، فقط انا و أمي التي ماتت في رحلت بحثها عني، لذا سافرت، او للحقيقه هاربت من نفسي و ذكرياتى و كل شئ.

كنت خائف و لم اجد سبيل للنجأه من وطني الغارق سوي بالهروب منه، انا لست بجبان لكن لا يوجد هنا شكل للحياه الأ ان تصبح نسخه من النسخ التي لا تفعل شئ الا المكتوب اليها.

حاولت.. و حاولت.. أن اجعل عقلي يتوقف عن التفكير لكنى

كنت افشل كل مره، كنت افشل في أن اسبح بحمد القائد، أن اجعل نفسي من خدمه، رأيت الموت، تذوقت ألم خروج الروح من الجسد.

تلك الرعشه التى تخبرك أنها النهاية بلا اى شك، استسلمت للنهاية، لكن ذلك الضوء توقف فجأة ليحل محله الظلمه و الصمت، حينها عرفت اننى ماذلت على قيد الحياه.

الان بعد أن هربت من كل شئ حتى من نفسي.

اجدنى أتسال من انا ؟

لم اعد اعرف من انا، اتذكر اللحظة الاولي لي هنا، اتذكر تلك اللحظة التي اردت أن اخبر فيها موظف التاشيرات باننى نمله، هاربه من الموت، لن اقف امامك اذا اردت ان تعيدها للموت، انا مهشم من داخلي، افعل بي ما شئت لن يهتم احد، لن يصغي اليِّ احد، لا يوجد من يهتم بنا، نحن ابناء العالم الثالث الذين نقتل و نغتصب و نعذب لا احد يهتم بنا.

نحن مازلنا عبيد للاستعمار، يفعل بنا ما يشاء، يستغلنا ليحيا المواطن الاول كيفما يريد، لكن موظف الاستقبال لما يلقي بي للموت فقط اكتفي بنظرة الاشتمئزاز لي، و كانه يخبرنى بانني شئ كريه الرائحه سوف يفسد بلاده.

وصلت لشقتي التي اعددتها الجرايده لتصبح مسكني، حاولت النوم، لكني لم استطيع، اسمع صراخي، اصوات التعذيب، اشعر

بيد الجلاد الخشنه و هي تنتهكني بلا رحمه، لم ينتزعو عنى رجولتى، لكنهم انتزعو روحي، حاولت النوم مراراً، و في كل مره افشل، اغفو قليلاً، لاصحو مجدداً.

في صباح اليوم الثاني، سيرت قليلاً قبل الذهاب الي الجريده التى لم تكن تبعد عنى بثلاث شوارع، حتى وجدتنى اتوقف امام مقهي يتعلاه منه صوت الفلسطنيه ريم البنا، و هي تغني لمحمود درويش

«فأنا لاأريد من بلادي التي سقطت من زجاج القطار....

غير منديل أمي، و أسباب موت جديد»

لم يبقي لي من حياتي السبقه سوى حب بعض الاشياء التي منها شعر محمود درويش، لقد احب درويش الحياه و احب ان يحيى كل لحظه منفرده، حاول أن يقاوم المحتل بقلمه، ظل يقاوم حتى الموت.

-فهل أنا مثله ساقاوم حتى يدركنى الموت ؟

ذهبت الي الجريده، و عقلي مازال يتذكر ريم و درويش، قابلت ساره المسئوله عن قسم التحرير الذي سوف اعمل فيه، تحدثنا قليلاً عن الاوضاع العالميه و حين جاء الحديث عن وطني شعرت بغصه في الحديث، فاتبدل الحديث، و عند نهاية اللقاء اخبرتنى بانني مرحب بي في وطني الثاني، ابتسمت ليها، و تسألت هل ليٍّ وطن أول ليكن ليٍّ وطن ثاني !

انقضي اليوم الاول في سلاسه، و عند العوده وجدتنى اذهب الي ذلك المقهي الذي سمعت فيه صوت ريم، كانت الوجوه متشابه، هنا يجلس ابناء وطني الفارين من كل شئ الا من ذاتهم، هنا يجدون سبب ليواصلو الحياه، فالحياه بلا هوية هي اقسي عذاب يمكن ان يحدث لك.

و من بين تلك الوجوه كانت نوران تجلس تشرب نسكافيه، لم احب و لن احب هذا المشروب ابدا، يبدوا لي انه مزيج من القهوة و الكريمة فلا اذوق القهوة او الكريمة، كانت جالسه تقراء كتاب ما، وجدتني اتقدم نحوها، كان بها شئ يجذبني اليها، قدمت نفسي و هي لم تمانع الجلوس معها، و تعرفنا، و ظلننا نتحدث كانت الاحديث لا تتوقف، كانت تلك الساعه التي جلست معها كانت من اسعد الاوقات التي قضيتها هنا.

كان بها مزحه من الحزن و الفقدان، عرفت هذا من صوتها، و حين اخبرتها كيف جئت الي هنا لمحت دموعها تحاول السقوط، لكنها غلبتها و تمسكت قليلا ثم ذهبت الي الحمام، و عادت و كان يبدو عليها البكاء، ثم اخبرتني انها فقدت حبيبها بسبب حبه لوطنه، لم تتحمل تكاليف خسارته، لذا هجرته علي امل يفكر مرة اخري، لكنه لم يفكر.

و اخر ما عرفته عنه انه الان يقبع في سجون الاحتلال، ثم بكت و لم تستطيع التماسك هذه المرة، ضممتها الي صدري و حاولت

تهديتها، ثم اتفقنا علي اللقاء في الاسبوع القادم عند عودتها من مؤاتمر كانت مكلفة بتغطيته.
عندما تركتها لم اجد مكان اذهب اليه فا عدت الي شقتي، كانت شقة هادئه، قليلة الاثاث، احببت ان يكون الاثاث المتواجد الضروري فقط، ظللت اذهب و اجي في غرف الشقه حتي غلبنى النُعاس فغفوت.
عندها رايت نفسي اعود ثانيه الي ظلمه التعذيب، استمع الي تلك الهمسات التى تخبرنى بانني خائن، جبان، كاذب، استمع الي صوت يسبني، و يطلب مني الاعتراف بمن دفع لي لاكتب، لاهتف، لافكر، من حرضني علي تلك الامور، من الذي جعلنى انسي أنني مهشم عاجز، من جعلنى افكر، من هذا المخرب !
فستيقظت فى خوف و صمت، في البداية لم افتح عيني، تحسسن جسدى بدون أن انظر امامي، ثم تفقدت السرير و تفقدت الاشياء بجانبي باللمس، ثم اتذكر انني صارت بعيد عن الجلاد، تذكرت انني هاربت، ففتحت عينى في خوف و توجس.
الان انظر الى المرآه و اتسأل ،هل هذا انا حقاً، كيف ألت تلك الامور الي هذا الحد، أتسال في خوف هل حقاً هذا الشبح اره امامى فى المرآه هو انا؟ و ظللت اردد ابيات درويش «مطر ناعم في خريف بعيد و العصافير زرقاء..
زرقاء و الأرض عيد...

لا تقولي أنا غيمة في المطار ...
فأنا لا أريد من بلادي....
التي سقطت من زجاج القطار....
غير منديل أمي ....
و أسباب موت جديد «

٢٠١٤/٢/٢٥

شط النيل

لا مفر من المواجه، اصبحت المواجه شئ حتمي، فقط الحقيقه هي ما سيختصر كل الطرق، لا فائده ترجو الان من الاكاذيب او علي الاقل تأجيل المواجه.

ثلاث سنوات مرت و انا احاول أن أوجل هذه المواجه و تلك اللحظات الثقيله و ذلك الهدوء الذي سيسبق عاصفة ستجعل حياتي تنقلب رأساً علي عقب، وحدها الحقيقه التيستجعل الامور اقل حده و عنف.

لا بديل عن السفر الي أهلي و التحدث عما دار خلال تلك سنوات الثلاث، سوف آتى قريباً لتوضيح ما حدث و شرحه فانتظرونى فى القريب العاجل سانهى بعض الاجراءت و سرعان ما ساكون متواجد، هكذا انتهى خطابي الذى ارسلته منذ اسبوع لاعلنهم بقدومي.

حتى الان لا اعرف كيف ساواجهم ؟ و ماذا ساقول ؟

كل الاشياء متداخله، كيف سيتصرفون معى ؟ ماذا سافعل بتلك التركه الثقيلة من الاكاذيب التى ظللت لمدة ثلاث سنوات اخبرهم بها ؟

لاشي في مخيلتى مطلقاً، لقد نفذت مني الاكاذيب كلها، صار خيالي بور لقد جردته الاكاذيب فلم يبقي في مخيلتي سوي الحقيقه التي اتمني الهروب منها.
ساذهب رغما عنى و اخبرهم بالحقيقه فلا مهرب من المواجه سئمت من التاجيل، عشت ليالى كثير بين الارق و الخوف، احلم بأنني جالس بينهم يحيطوني، أحاول الحديث فأفشل، تهرب مني الكلمات، افقد صوتي بالتدريج، أحاول أن اصيح لكني اتمتم بكلمات غير مفهومه، ينظرون اليّ بنظرة الاشفاق سرعان ما تتحول الي الاشتمئزار، أرى امي تبكي، ينظر الي ولدي بقسوه، يهم بضربي، لكني اصيح بلغه غريبه، ثم يختفي الجميع، تظلم الغرفه أحاول التحرك، اجدني مربوط بالكرسي، أحول التحرك، فاينقلب بي الكرسي.
احرك جسدي لاتحرر لكني افشل فاظل احاول، فاستمر في الفشل، اسمع اصوات بالخارج اشعر بعيون تنظر اليِّ لكني لا اراها، اشعر بتلك العين تتصفحني و كأنني مجرد من جميع ثيابي، انا عاري و الجميع ينظر اليِّ ولا استطيع أن اواري سوئتي، اشعر بالفزع لا اعلم هل هذا حقيقي أم خيال.
احاول الهروب حتي اجد نفسي علي سريري، غارق في عرقي، استعيذ بالله من الشيطان، و لأ استطيع أن اغفو مجدداً، تكرر هذا الكابوس اكثر من اربع مرات منذ ارسلت لهم الخطاب

يعلمهم بقرب عودتي.
فور انهاء عملي، توجهت الي التحرير، اريد أن اصمت قليلا، و ادع عقلي يتكلم، فقد استكته اكثر من اللزم حتي صارت الامور خارج السيطره، اقتربت محطة السادات، فقط دقائق هي ما يفصلني عن ترك عربة المترو، الازدحام خانق، اصوات المحيطين، الباعه الاجائلين، الحر الخانق، اشعر و كأن الاوكسجين قد نفذ منا، اختنق بشكل كبير ولا استطيع ان اقف، احاول ان اتماسك، فقط ثواني و اتحرر من هذا الزحام.
جاءت محطة السادات، سيرت نحو المنفذ حتي صاعدت الي الشارع، كنت بجوار سور الجامعه الامريكيه، اشعلت سجارتى و ظللتاسيرفي اتجاه الميدان، لم اعرف الى اين أذهب، لا اريد أن اذهب الي احد البارات.
اقلعت عن الخمور منذ ايام و اريد ان يستمر هذا الصيام لفترة لا اعرف كم ستدوم ، مللت من الخمور و ملت مني،لم تعد تفيدني في شئ، كان لها اثر عظيم في حياتي فيما مضي، كانت الجسر الذي يسر لي الطريق لاكتشف رجولتي مع النساء.
كانت حفلة عاديه دعيت اليها من قبل صديقي في العمل، حاولت الانشغال و تبرير عدم قدومي، لكنه اسقط كل حججي، لا مفر من القدوم، لم يكن قد مر علي تركي للبلد و قدومي للقاهرة سوي بضع اشهر.

ذهبت الي صديقي، وجدت أن الحفله لم تبدا بعد، كانت الساعه الثامنه حين وصلت، نظرت حولي فلم اجد سوي صديقي و سوزان، خمرية اللون، جسدها متناسق بشكل جميل، ممتلة الصدر.
قدمني صديقي اليها و اخبرنا ان الباقين في طريقهم الينا، و نظر الي سوزان، و قال(حسبي عليه ده لسه جديد و مش قدك) ثم ضحك ضحكته العاليه و تركنا بمفردنا في الروف، و ذهب ليكمل باقي متعلقات السهره.
مدت يدها الي محيه.
- أهلا بيك سوزان.
- أهلا محي.
تحدثنا كثيراً في كل شئ تقريبا، حتي تلك الاشياء التي كنت اخجل من التفكير فيها منفرداً، لم تكن سوزان تخجل من شئ، كانت شر خالص، كما ادركت مؤخراً، ظللنا سويا طوال السهرة، قدمني صديقي الي باقي رفاق السهره، لم اكن اعرف احد منهم، بل لم ياتي الي السهره من العمل سواي، كنت الوحيد المدعو.
عندما انتهت السهرة، كنت قد شربت اكثر من قدرتي علي الشرب، و كانت الخمور لعبت براسي، ودعني صديقي، عرضت سوزان عليِّ السير قليلاً، اردت الرفض لكني لم استطيع القول، كانت الخمور اقوي مني، كان سكني قريب من مكان السهره، اخبرتها بتلك المعلومه، علي ما اظن حين كنا نتحدث في الروف.

وجدتنا نسير نحو شقتي، صعدنا سوياً، الرغبة تتحرك بداخلي، الحرمان اقوي مني و من صلابتي، رائحتها تغمرني، اني اغرق فيها، دخلنا سوياً، ندق علي وتر الاشتهاء، والرغبه وحش جامح، اتداعي، تنهزم نفسي، الاغواء، الخطئيه الاولي.

- ثم ماذا حدث؟

لا يوجد من يتوقف امام الشهوة، الغريزه تنتصر، الحيوان يسيطر، تتواري القيم، الاخلاق تذبل، الشهوة موجه تحطم كل شئ، بشرتها لم تكن بيضاء، كانت خمريه اللون، تجردنا سوياً من ملابسنا، ضجعتها، التجربه الاولي، مرعبه، خائف، صامت، اشعر برهبة الموقف، قبلتني، اعطتني المفتاح و لم تغلق الباب في وجهي او تجعله مرصود، بل تركته مفتوح، رحبت بي بكل سرور ! توالت بعد ذلك لقائتنا، قدمتني الي اصدقائها، لم احب احد منهم، لفتت انتباهي فتاة تدعي جيسي، بيضاء ضئيلة الجسد، يغطي وجهها النمش، شعرها قصير، تحدثنا قليلاً، شعرت سوزان بالغيره، قدمت و توسطت الجلسه بيننا، انتهي الجلسه، تمشينا قليلا، كان قد مرت سنه علي علاقتنا سوياً، و كنت اصبحت مهمل في عملي، لدرجه جعلت مديري يحذرني من ذلك، ثم تسارعت و ساءت الامور، حتي فصلت من العمل بسبب كثرة غيابي و أهمالي في عملي.

لم تكترث سوزان، قدمتني الي شلة جديده، علمتني البوكر، احببته.

الضعف يدب في نفسي قبل جسدي الخمور لم تعد تعطيني النشوه، اصبح جسد سوزان متلبس، مللت منه، هربت شهوتي، كانت لقائنا علي السرير لقاء موجز، و كانه فرض لابد من تقديمه، تعددت علاقاتي بفتيات اخريات.

عملت سوزان بذلك، نبهتني، فسبتها، فسبتني، فانهلت عليها ضربا، لم تقاوم، لم تفعل شئ، احبت ذلك، احبت ذلك الوحش بداخلي، احتضنتني، فهدأت، اخبرتني انها لا تمانع من علاقاتي، لا تمانع اذا جمعت بينها و بين فتاة اخرى علي ذات السرير، لا تمانع من شئ، فقط لا اتركها.

صارت ازور اهلي يومين ثم اعود الي القاهره، كان البوكر يوفر احتياجي من الاموال، لكن مصروفاتي زادت، لم اعرف السبيل لتدبير اموري، طلبت الاول من اهلي لفتح تجاره ليٍّ لم يتاخرو بعثو لي بالاموال اللازمه، راهنت بها في البوكر، ربحت فعماني جشعي، ظللت ازيد اللعب، سنة مرت كامله و انا اعيش علي تلك الاموال، اربح فابعث لهم الربح.

سنه اخري تمر، فاغوص اكثر في وحل الشهوات، اغرق أكثر و اشعر انني اطفو، اسبح مع التيار تاره، و اتوقف تاره، و اسبح ضده تاره، حتي خسرت كل شئ في مرهنه، سخرت كل شئ، لم يبقي معي سوي الفين جنيه، لقد اضعت كل شئ، في لمح البصر، لم اصدق، صحت، سببت، لكني خسرت و تلك هي القواعد.

ظللت شهرين لا اغادر البيت، انقطعت علاقاتي بالجميع، حتي سوزان وجدت غيري تلهو معه، حتي وجدتني لا املك شئ، بحثت عن عمل، قبلت بعد عدت اسابيع، اتصل بي صديق كنت اعمل معه في البنك و اخبرني بانه يعرف شركه تحتاج الي محاسبين، و انه يرشحني لهم، عملت، لكني لم انقطع عن الخمر، رغم انني قللته علي قد الامكان، لم استطيع أن ابعث في تلك الفتره لي اهلي بارباح، حتي طلبوني بها لحاجتهم لتجهيز عرس اختي، لم يكن امامي من مفر لذا بعثت لهم بالخطاب.

لماذا تهجم عليِ كل تلك الذكريات الان، ربما لان كل شئ بدأ من مكان قريب من هنا ؟ لا اعرف فقط شعرت برغبه ملحه للسير فاطلقت العنان لقدمى وسيرت و سيرت، حتي وجدت نفسي، امام شط النيل، هنا يمكن أن انهي كل شئ، لماذا لم تأتني تلك الفكرة من قبل ؟ قفزة واحده يمكنها أن تجعل العالم مظلم تماماَ، هنا ستنتهي كل الاشياء، ساقفذ للماء، ساحاول المعفره، ساحاول ان انجو بحياتي، لكني لا استطيع السباحه، لذا لن يكون لهذه المحاولات من معني،ربما ساصرخ لطلب النجده التي اتمني ان لا تتواجد، و الا يفسد احد محاولة فراري من هذا الجحيم.

اعجبتني الفكرة، تملكتني، الهروب الحل الاسهل للتنفيذ،الغرق الحل و هو الدرب الوحيد الذي لابد لي من السير فيه، يمكني بهذا الفعل أن اجد الهدوء الذي تطوقت اليه خلال السنوات

الماضيه، صخب الحياه اعماني، تشتت روحي، مزقتها الايام و الخسائر جعلتني فريسه للاكتئاب و كل الويل للاكتئاب ذلك الوحش الذي يختبي بين ساعات الليل و بين سطور اسئلتنا التي لا يتواجد لها اجابات.

بحثت عن السلام طويلا و لم اجده، هذه فرصتي لابد لي من اغتنامها، لا تكن احمق الحياه قذره دميمه، لا يهواها سوي الحمقي، كنت احمق، لكني عرفت الحقيقه، راهنت علي كل شئ و خسرت.

سلمتك الحياه نفسها ثم اغلقت الباب في جهك، لن يبكيك احد، أنت وحيد، مرت ثلاث سنوات و لم تكون صداقه وحيده حقيقه، أنت وحيد في هذا العالم، سوزان استغلتك، صديقك استغلك، الجميع كان اذكي منك، الجميع تلاعب بك، من حقك الأن أن تنتقم منهم، من حقك أن تنهي هذا العالم قفزة واحده، لن يتذكرك احد، انت لا احد......انت لا احد.

ظلت الافكار تسيطر علي عقلي و لم اشعر بنفسي، الأ عندما وجدت ذلك الرجل يحدثني، كان في الخمسين، لم اعطيه البال، همومي اثقل من أن تتركني أنغمس مع تفاصيل الاخرين، بحثت عن سجائري فلم اجدها، قمت لجلب علبه اخري، لكنه عرض عليِّ سجاره، فاقبلتها منه، لم اشاء النهوض علي كل حال.

- مالك يا أستاذ ؟

- مفيش انا بخير !
نطقتها و لم اكن في حاله تسمح لي بالحديث، اثرت الصمت علي كل حال، لكنه لم يتهمل و قطعني.
- بس شكلك شارد اكتر من الطبيعي.
- مشاغل مش اكتر.
- تحب تنزل المايه معايا.
شكرته علي عرضه لكنه لم يقتنع، و اصر علي قدومي معه، لم استطيع المقاومه، كانت كلماتي مختنقه، كنت احارب لكي لا تحدث، صعدنا سوياً علي متن قارب من القوارب الراسيه علي شط النيل، كنا وحدنا، لم يصعد عليها سوانا، ادار صبي المحرك و تحرك القارب، جاء الرجل و عرفني بنفسه.
- الريس احمد صاحب المركب دي.
حيته و قدمت نفسي.
- محي عبد السلام.
ضحك الرجل ضحكه لم اتبين سببها، لكني بدلته الضحك، تقدمنا الي مقدمة المركب، طلب من الصبي أن يشغل بعض الاغاني و اخبره (أحنا في عزاء ولا ايه يا استاذ صبري)، تصعدت الحان من السماعات المثبته في المركب لحن اعرفه، سرعان ما جاء صوت أحمد منيب هادي (مشتاقين يا ناس لبلاد الدهب... مشتاقين يا ناس لبلاد الدهب)، ضحك بصوت عالي الريس، و صاح للصبي

(الله يفتح عليك)، اخبرني بحبه لتلك الاغنيه، لقد جاء الي القاهره منذ اكثر من ثلاثين عام، كان في عمر الصبي، جاء ليعمل في الانفار، لكنه عشق النيل.

النيل وحده من يستطيع أن يبتلع حزنك في صمت، لقد قضيت فيه نصف عمري، عندما آتيت الي القاهره، كنت وحيد، لقد ماتت أمي، ولم اجد سبب لبقائي في البلد، كان عليٍّ البحث عن عمل جديد، ارهقتني الفلاحه ولم تأتني بداخل يضمن ليٍّ حياه كريمة، هجرت البلد و ناسها، جاءت الي القاهره، لا اعرف طريق ليٍّ لاذهب اليه، قضيت يومين أبات في الشوارع، حتي وجدت موقع بناء، عملت فيه انفار، اقضي النهار في الموقع و في الليل آتي الي هنا اجلس و اتحدث للنيل و انام هنا، حتي وجدت غرفه بالقرب من الموقع.

كنت وحيد، الدنيا تطحني، عرفت في تلك الايام معني أن يكون لك صديق، في العمل لم نكن نتصادق كان الكل يكره الكل، كنت اعمل براتب جنيهين، انفق ربع جنيه للاكل و ادفع نص جنيه للايجار.

شعرت بالوحده تتملكني، خفت أن تقتلني الوحده، فأتيت هنا ادخن و اتحدث مع النيل، حتي ظهرت من العدم، وجدت هنا سبب لحياتي، كانت قصيره سمراء، نحيلة الجسد.

كانت تعمل هنا بائعه شاي، اسيرتني، احببتها، اقتحمتني، كنت

عاجز امامها، لم اري فتاة مثلها، لا اعرف ماذا تملكني حينها ؟
ظللت اتردد علي المكان لمدة شهر تقريبا، حتي جاء ذلك اليوم الذي اطلت النظر اليها، فقدمت ناحيتي، و وضعت كوباية شاي امامي.
قولتها :
- مطلبتش ؟
صمتت و لم اشعر بشئ الا و هي تلقي كوباية المياه علي جسدي.
قالتلي :
- امال بتبص ليه ؟
فانصرفت، و انا عاجز عن الحديث، لم ادري ماذا علي ان افعل، نكست راسي، و سرت في صمت.
ذهبت الي العمل، و انشغل بالي بها، حتي اتخل توازني و وجدتني ملقي علي الارض و قد سقط عربة الطوب عليٍّ، كسرت قدمي و ذراعي، لم افق من سقوطي الا بعد اسبوع، كان صاحب الموقع تكفل بمصاريفي، و عندما غادرت المستشفي اعطاني بعض الاموال لاتدبر حالي، و اوصي سيدة كانت تسكن بغرفه مجاوره لِي برعايتي، مر عليٍ شهراً لا اغادر فيه السرير الا لقضاء حاجتي.
انقضي الشهر، لكنيٍ لم اعد كما كنت لم استطيع العمل كا انفار مجدداً، لم اعرف ماذا سافعل ؟ قريبا ستنفذ اموالي، لم اعرف جواب، لكني ذهبت الي هنا، وجلست كما كنت تجلس الان،

صدقني رودتني فكرة الانتحار، لا معني لحياتي، لماذا احيي علي كل حال؟ ليس ليٍّ صديق ولا اهل او زوجة.
جلست جلسه القرفصاء، و بكيت و ظللت ابكي و كانني لم ابكي ابداً، وجدتها بجانبي، احتضنتني، اتفزعت، نظرت اليها، لم استطيع الحديث، كانت دموعي اقوي مني، فاوصلت البكاء، فازدادت في أحتضاني، حين تملكت نفسي، لم يأتي في بالي شئ سوي أن اطلب منها الزواج، و قبلت، لم اكن اعرف كيف اتدبر اموري.
ساعدتني بكل ما اتيت من قوة، عرفتني علي صاحب تلك المركبه، عملت مركبي، تزوجنا، لم ننجب، لم اهتم و هي لم تهتم، كنا نحيا في غرفه، جعلتها قصر، عملت و عملت، ساعدتني بشتي الطرق حتي اصبحت امتلك هذه المركب، لولاها، لاصبحت مثلك، عازم علي الانتحار.
صمت و لم استوعب قصده، كيف لهُ عرف هذا الامر، كيف عرف عزمي علي الانتحار !
- بس انا مش ناوي انتحر.
- كداب، عينك بتقول الموت احب ليك من الحياه.
- مشاكلي اتقل مني، حملي خنقني.
- كلنا خسرنا، و لسه بنخسر، مش لوحدك اللي خسران.
- بس انا ورطت ناس كتير معايا ملهمش ذنب.
- و أنت تفتكر موتك هيحل الورطه دي !

- لا... بس انا هرتاح.
- ابدا يا بني، الروح اللي بتنتحر مبترتحش، بتفضل متضايقه من نفسها و بتطوف في السموات و الارض و عمرها ما بتنول الراحه.
- بس ...

لم استطيع أن اكمل حديثي، اجهشت في البكاء، و لم استطيع الحديث، فاوجدته يحتضني و يربت علي كتفي، أن كل الامور ستنصلح اذا اردنا هذا، عندها عزمت علي الذهاب و اخبارهم بالحقيقه، و لتنهد حياتي، فلا يوجد شئ اخسره اكثر مما خسرت.

٢٠١٥/٨/٢٠

مواصله

كانت الساعة تقترب من الرابعة ،ظللت أنتظر أكثر من نصف ساعه، لم تمر موصله واحده ؟ ياه الله لماذا كل هذا العناء ؟ لماذا عندما اريد أن اصل في ميعادي اشعر أنني ابذل ما فوق طاقتي قط لالتزم بشئ صغير مثل هذا ؟ لماذا كتب عليٍّ التأخير دوماً حتي بدون قصد ؟!

انتظرت ربع ساعه اخرى و لم تمر موصله واحده، حتي اتت سياره صغيره..اخيراً سأبدا رحلتي التعسه لمقابله العمل تلك.. من زحام داخلي .. لزحام خارجي و طريق خانق بكل ما يحمله من اسئله بداخلنا، ربما من فوائد زحام الطريق، انه يشغلنا عن زحمنا النفسي، اعتقد اننا عما قريب سننقرض كالديناصورات، و نحن نحاول الوصول لاشغلنا، و ربما لن نصل في النهاية حتي.

جلست بجانب رجلين في الخلف، احدهم كان كفيف، و الاخر شاب في الثلاثين، و في الامامم جلست أمراتين، جلست بجانب الشباك و حين حاولت فتحه، كان ملتحم بالسيارة، فاكتفيت بالنظر من خلال الزجاج الي الطريق، تحركت السيارة ببطي، و كان كلما مر الوقت كان شعوري بالاختناق يزداد لا اعرف سبب لذلك، دوماً اشعر بالاختناق اذا لم اكن جالس بجانب الشباك

و الهواء يصطدم بوجهي، عاده غبيه اصبحت امر ضروري لكي استطيع البقاء في تلك العلبة الحديدية المسماه بالسياره.
قطعنا نصف المسافه في يسر، لم يكن شارع الكورنيش مزدحم، حتي رن هاتف سيدة من الجالستين امامي، هتفت المرأة بصوت مفزوع (بجد)، افقت من غيبتي و نظرت الي السيده فاوجدت ان ملامحها بدأت في التغير، بدأ الحزن يكسو وجهها كانه جيش من النمل يغير ملامحها بكل بطي و هدوء، ساد الصمت و الترقب، الجميع منشغل بما سوف يقال، صمتت السيده قليلاً، حاولت التماسك، ثم انفجرت، (مات جمعه ياختي.. مات جمعه)، اصبح شبح الموت يرفرف فوقنا.
حاولت المرأة الجالسه بجانبها أن تجعلها تهدأ، فاخبرتها بان تكف عن الصراخ فازادت الطين بالة، صارت السيده تلطم علي خديها بكل ما أُتيت من قوة، و ظلت تردد في صوت يملائه النحيب (مات جمعه..... هي اللي موتته.. مات جمعه ياختي)، ثم نزعت خمارها، دخلت في حاله من هستيريا الحزن.
كنت جالس و لا اعرف ماذا افعل، ظننت في ذلك الوقت انني مجرد شبح او دخان او انني مجرد متفرج في صاله سنيما، ما يحدث لم اعتاده الا في موافق معينه و ظلت محفوره بداخل ذاكرتي، و ظللت احاول النسيان و الهروب منها
لماذا تأتني الان، لقد انشغلت بالحياه و باللحظة حتي اهرب من شبح الموت، ظننت انني بذلك اتغلب علي الموت في انني انزلق

اكثر الي بئر الشهوات و المتعه، اذا كان الموت قادم فلابد لي من الاستمتاع الي اخر رمق لي في هذه الدنيا، لكني حرمت نفسي من الحب، من الامتلاك، لكل شئ نهاية فلا معني من الامتلاك، من الحب، لقد اخطا الراحل احمد خالد توفيق، حين ذكر علي لسان رفعت اسماعيل .

« للأبد ؟

- ماذا ؟

- ستظل تحبنى للأبد ؟

- حتى تحترق النجوم وتفنى العوالم

حتى اشيخ فتتآكل ذكرياتى

حتى يعجز لسانى عن لفظ اسمك

حتى ينبض قلبى للمره الاخيره فقط عند ذلك

ربما اتوقف ربما..»

انا لا اعرف كيف يمكني فعل هذا و لا اعرف من تستحق ان احبها من الاساس لتظل معلقه في قلبي للابد، انا ظللت احيا بمنطق امل دنقل «قلت فليكن الحب فى الأرض ، لكنه لم يكن أصبح الحب ملكاً لمن يملكون الثمن».

انا لم املك الثمن في الماضي و حتي الان و الثمن لم يكن المال فقط، بكل كان المال هو اقل الاثمان التي يمكن ان تدفع، بل الثمن الحقيقي الذي اعرفه هو التقيد، ان تعرف جيدا ان من

تحبهُ ليس الافضل في شئ، ليس الاجمل، ليس الاحسن، بل انك تراه هكذا فقط لانك اخترت ان يشاركك حياتك، و احببت انه فقط من يشاركك هذه الحياه، انا لم اجد و لا اعتقد انني ساجد، ساظل احاول الهروب من الموت و يسظل الموت يلاحقني في كل مكان !

ذكرتني تلك الحاله من حالات الجنائز برحيل جدي، كنت حينها صغيراً لم اتعدي العشر سنوات، لم اكن علي عهد بالموت، لم يزرنا الا في ذلك اليوم، كان الجميع حزين و صمتين بلا سبب، قدمت من المدرسه و بدلت ملابسي، ثم صاعدت الي شقة جدي.

كان ابي بالصاله، سلم عليٍ ثم ذهبت الي رؤيه جدي كعادتي، فكان فاقد القوي، هزيل الجسد، نظر الي بعين عاجزه عن تفحص ملامحي، ثم وضع يده علي خدي، و حاول الحديث لكن كلماته كانت ضعيفه و لم اتبين منها شئ، اخرجتني عمتي من الغرفه، و في المساء، جاء صوت عمتي مماثل لصوت هذه السيده، وجدت حينها ابي يركض تجاه شقت جدي، فركضت خلفه.

ظللت اراقب جسد جدي الممد علي السرير و ظل يحاول ان ينعشه و يخبر عمتي بانها مجرد (كرشة نفس) حتي جاء عمي الكبير و اخرج ابي من حالته و قال في صوت حازم (ابوك مات)، كانت الكلمه جديده عليٍ، كنت اعرف ان هناك حياه و موت لكني لم انظر اليه لم اتعارف عليه، كان مجرد مجهول، في تلك

اللحظات رايته و عرفت الموت، و لكني لم استطيع ان احرك جسدي شعرت في ذلك اليوم بانني قد شللت.
و استمرت تلك الحاله من التخشب كما قال لي صديقي ممدوح، الذي حاول اكثر من مرة ان يجعلني اذهب الي طبيب نفسي، لاعرف ماذا يصبني حين يمر الموت من جانبي، لكنني لم اريد الذهاب، لذا ذهب هو و اخبرني بان ما يحدث لي هو نتيجة صدمة موت جدي و انا في الصغر.
لذا لم استطيع ان تتماسك و لم تشعر بشئ سوي الهلع، حاولت ان انظم انفاسي، و بعد عدت محاولات استطعت تحقيق ذلك ثم وجدتني اشاهد ما يحدث في صمت، كانني اشاهد فيلم سنيمائي، كنت خارج الاحداث بشكل كبير، توقف السائق و حاول كل من في العربه تهداتها و فشل الجميع، ظل يحاول الجميع ان يهدأ السيده بأستثنائي.
صارت العربة بشكل ما في مرسم جنائزي ، انه الوداع المعهودة، العويل، لطم الوجوه، البكاء، لم تتوقف المرأة، أستمرت المرأة فى دق سقف السيارة و البكاء بشكل هستيرى. أستمر هذا الوضع الهستيري، ربع ساعه، منذ معرفت الخبر حتي اللحظة التي هدئت فيها، ليسود الصمت، لا احد يتكلم الجميع ينظر امامه و صامت.

٢٠١٣/١١/٥

أين ذهب الشعب؟

كان الامر في غاية الغرابة علي الجميع، وقف الجميع ينظر الي بعضهم البعض، في حالة من الدهشة و الخوف، ماذا حدث ؟ لم يتبقي سوى دقائق معدودة و يبدا المؤتمر السنوي لتحرير المقاطعه، الذي تم الاعداد لهُ بشكل كبير، لقد تم الاتيان بكبار الكتاب السياسين لصياغ بيان الرئيس، منذ اندلاع التظاهرات الاخيرة في ارجاء المقاطعة، و التي تم السيطرة عليها باعجوبة، و صار الشغل الشاغل للرئيس هذا المؤتمر، تم التفتيش في سجلات كل من شارك في المظاهرات و نادي بها، للبحث عن فضائح لهُ، لابد من مؤتمر كبير، ليفضحهم، لابد ان يتعلموا ان الثورات و الديمقراطية لم تخلق لامثالهم.

لقد حررهم من فاشي، ليصبح هو ذلك الفاشي، هؤلاء لم يتعبوا لتحرير انفسهم، انما هو من خاض صراع طويل ضد الفاشي و رجاله حتي استطاع ان يشغل حيز كبير و التواصل مع دولة اخري، مدته بالقوة و السلاح، ليسقط حكم الفاشي، ليعتلي الحكم و ينفرد بيه.

بداءت الالات الموسيقيه الاستعداد، صدر عنها بعض النشاز، ثم

بداء عزف النشيد الوطني، تبقي علي بداية المؤتمر اقل من عشر دقائق، و لم يحضر احد من الجمهور، الشوارع خاليه، المؤتمر خالي، و الميدادين التي اعدت ليستمع فيها ابناء المقاطعه لخطاب الرئيس فارغه، لا احد.

النشيد يعزف و النشاز يعلو صوته اكثر فاكثر، الحظة تقترب، الرئيس يتوجه للحديث لشعب هو لا يعرفه الا من خلال بيانات يعلم كذبها، لقد انشاء دولة جديده، ليست للديمقراطية بل لنفسه، رأي في نفسه المختار، الجنون سيطر عليه، احبه الشعب في البداية تعلقت بيه الامال، هتفوا باسمه، تغنوا بيه.

حتي جاءت اللحظة، السلطة استحوذت عليه، الجنون اصبح سمته المميزة، عبد السلطة، عبد القوة، توالت الايام، ظل يسب المعارضة، و يتحدث عن مؤامرات خارجيه مع دولة يتحدث عن كونها حليفة، يطلب حمايتها و اموالها، لكنها في الداخل دول معارضه لبناء الدولة، تحاول نشر الفوضي و العبث.

الضرائب تفرض و الاسعار تصل الي الجنون، الفقراء لا يجدون ما يسد رمقهم، المجاعه تضرب البلد، الفقراء يموتون، السرقة و القتل تنتشر، الجوع يضرب الجميع، الشدة المستنصرية تعود من جديد، الكلاب اختفت، الحيوانات لم يعد لها ظهور سنة كامله من القحط، الشدة المستنصرية تعود بشكل افجع بكثير.

لم يحدث هذا الامر مع من سبقوا، عشر سنوات من جنونه اطاحت

بالبلد، المقطاعات تتظاهر، الهتافات تعلوا، الجنود تقتل، الدم ينتشر، الاسوار تغلف البلد و الخوف يخيم علي رؤوس الجميع. رائحه الشوارع عفنه، الدماء برك، تلك الطبقات اللزجه الثقيله من الدماء تغزو الشوارع بشكل رهيب، الاحكام العرفيه تنتشر، الثورة تضرب البلد، القتل اصبح عشوائي، الفوضي...الفوضي صارت النظام القائم.

الجميع خائف، الرئيس لا يعرف ماذا يفعل، المجتمع الدولي، يتحدث عن الانتهاكات، المجتمع الدولي يتحرك، السماء رفضت المطر، النهاية قادمه، الغيث توقف، اللعنة جاءت !

لكن الله لا ينسي عباده، هناك دوماً دعوة يطلقها طفل....شيخ .... ام او اب، هناك دعوة تحرك الامور، الغيث يبدا يتحرك المجتمع الدولي، الاموال تتدفق، الاغذية تنتشر، الفوضي تنتشر مجدداً الاغذية تسرق، اهل المقطاعات تقتل بعضها البعض للحصول علي الوجبات، حتي يسود الهدوء.

السماء تمطر، اغذية المجتمع الدولي تتدفق كالسيل، المجتمع الدولي يخاف من المجاعه، الصحافة العالمية تتحدث، لقد اخترق جدار الصمت، تكاتفت بعض الدول للمساعدات، حتي عادت الدولة الي ما كانت عليه.

ثلاث سنوات قد مضت علي تلك الاحداث، لتعود من جديد المظاهرات، المطالبه بالرحيل و انتهاء القبضة الحديدية

والمطالبهبالديمقراطية تعود من جديد، الامل الذي قد انقضي عاد، نور التغير قادمة، لقد بعث للشعب امل جديد، بعودة احد كبار المعارضين، الجميع ظن موته في السجون، لكنه استطاع ان يهرب، لقد القي بيان مصور، الفوضي كانت ستدب مجدداً بارجاء الدولة، لكن الرئيس و من خلفه المجتمع الدولي، استطاعوا ان يكونوا اسرع هذه المرة.

لقد انقضوا علي التظاهرات بسرعه و بعنف، و بدرجه من العبث، جعلت الجميع يتراجع، الا مقاطعة الفراشات، التي جاء منها الرئيس، المقاطعة صاحبة التاريخ الكبير بالمظاهرات و الكفاح، مقاطعه المنشيدين، كل من حكم كان يخافها، اللعنة الموجوده بالبلاد، لاهلها عهد طويل بالتظاهرات و الثورات، من ابنائها ظهر المعارضين، و من ابنائها جاء هذا المعتوه ليحكمنا !

كنت حاضر علي كل شئ، عرفت اننا ننهار من البداية، البداية كانت متوقعه المعتوه جاء ليصفي حسابته، لقد قتل ابيه في التظاهرات، و سجنت امه، احتواه رفاق الكفاح لابيه و امه، كره الضعف الموجود في نفوس العامه، كرههم اكثر حين نفذ حكم الاعدام علي امهُ.

حينها تربي الشيطان بداخله، لم يعلن حقيقته، بل ظل يتحدث عن حقوق الجميع في حياة متساوية الفرص، و العدالة الاجتماعية، و ملاء الارجاء بشعارات اليسارية و كان لابيه و امه حب في

النفوس.
فساعده هذا الحب علي الفوز بالانتخابات كان يعلم الجميع بعدم مصدقيتها، لكنه قدم و اعلن عن نفسه و اعلن انه الرئيس، وقف الجيش معه بعد ان ابرم العديد من الصفقات مع القيادات و الشرطة كان اول المؤسسات التي اعلنت فوزه، فالجميع كان يكن الكراهيةللفاشي السابق.
لم يعلموا الحقيقة، لم يروا ما بداخله مثلي، عرفت منذ اللحظة الاولي انه ليس كما يدعي، و الان علم الشعب انه مجرد معتوه ليس اكثر، كانت البدايات مبشرة بداء ببعض الاجراءات الاصلاحيه التي ساعدت في تحسين حياه العمال حتي امتلك تأيد شعبي كبير.
فبدأ ينفذ في خطته صار يتحدث عن المؤامرات، ليبدا في كبرى حمالات البطش ضد المعارضين الذين لم يكونوا معارضين بل كبار رجال الاعمال الذين كانوا يايدون احكام الاعدام.
تلك الاحكام التي اودت بامه، و حظت تلك الحملة بتأيد جارف لم يسبق لهُ تأيد لاحد، حتي جن جنونه في تلك الاوقات كان قد قضي سنتين في الرئيسه حتي صارت اخبار الاعدام تعلن كل يوم، صفق الشعب، حتي جاء الدور عليهم.
من يري غير رؤيته يعدم، من يتحدث حين يفرض الصمت يعدم، صمت الجميع حتي تطور الامر، لسجن و تعذيب من نظن ان

نواياه ليست معنا، اشادت بنا بعض النظم و تحدث نظم اخري عن الانتهاكات فاكنا ندفع لهم او نتركهم يستغلونا، ليصمتوا، لكل شئ ثمن، و عرفنا كيف ندفع الثمن ؟

لقد عملت لسنوات عديدة في الرئاسة و رايت الكثير و الكثير، انا الخازن الامين لهم، رأيت اللص منهم الذى قبع على الكرسي و لم يزحزحه سوى الموت، و رايت الشريف الذى اخلص لله ثم الشعب و عمل على خدمة الوطن لكنه لم يدم طويلا، رايت الماجن و المختل، رايت كل شئ و علمت كل شئ لكني لم امتلك الجرأة لاتحدث، عرفت كيف احيا و استمر في منصبي ؟ فاستمرييت لسنين، عملت هنا منذ اكثر من خمسين عام .

سلسلة طويلة من الصدف و الاحداث المضحكة هي الحياه، قراءت ملحمة الحرافيش، و الان اعشها، الفقير يصعد الي سدة الحكم، الناس تستبشر خير، عهد الناجي قادم، الناجي لن يخلف وعده، الناجي لم يتجبر علي احد، الناجي بعث من جديد، قوته لله و للناس وليس لمصلحته.

الناجي لم يعد الناجي، انحدر، عبد السلطة، الاسطورة بهتت، سبها الحرافيش، كرها المؤيدين، لم يبقي لها شئ الا السلاح و الرعب، يظل الحاكم حاكم بقوة الرعب و بالخوف من الغد الموحش، تعرفني.. تعرف عيوبي، لكنك لن تقدر علي ما هو قادم بعدي، لقد اعتدت وحشيتي، عبثي، جنوني.

لذا يتسأل العامه بينهم و بين انفسهم سؤال هل نبدا من جديد ؟ خطب الحكام واحدة، ذالتهم واحده، فجرهم واحد، نسخ مكررة من بعضها، نفس الاخطاء الساذجه تحدث كل مره، لماذا لا يتعلم احد من سابقيه ؟

لكن هذا المعتوه مختلف قليلاً، رغم ما مرت بيه البلاد، لا يزال جالس علي مقعده بمؤخرته الكبيرة، يتحدث عن مؤامرات خارجيه و داخليه، يعذب من يشاء ليجبره علي الاعتراف بما يريد، و تأتي القنوات لتبث عبثها عن المؤامرت.

اي مؤامرة تلك التي يمكن ان تحدث لنا، نحن فتات دولة، نحيا علي الاستدانه، نشحت للحصول علي قوت يومنا، لا احد يعملنا كا دولة، لا احد يحترمنا، الكل يعلم ضعفنا، الكل يعلم عجزنا، الكل يعرف الحل و الدواء لنا، الا انفسنا.

نحن فقط من نعظم الحكام بلا اي مبرر، عبدو قديما و اصبحوا الاله، بلا اي سبب سوي السيطرة علينا، و الان نصنع الاله من الجديد بلا اي مبرر سوي رغبتنا في الخنوع.

و الغريب في الامر ان هذا الشعب لهُ عهد طويل في الخنوع، وعهد اطول في المقاومة و الثورات، اجيال تاتي لتنتفض، و اجيال تاتي للخنوع و المذلة، و هذه الايام هي ايام جيل الخنوع، فاصبحنا اشباح في هيئة بشرية، اندثرت حضارتنا، و ضاعت كل الامال، اصبحنا نحيا فقط للاكل و الجنس ؟!

الرئيس الان يتقدم ليقول خطابه، ينظر الي الخطاب، يتلوه ليتعرف علي محتواياته، يتقدم قليلاً الاضاءة تخفت، الاضاءة تركزه عليه، يحاول مهندس الاضاءة ان يخفي الامر، القاعه مظلمه، الصمت لا يوجد تسفيق، الرئيس ينظر الينا، ثم يتحدث.

تبدا القاعدة بالاضاءة علي مهل، حتي يعلم الحقيقة القاعده خاليه الا من مجموعه من رجالهُ، الجميع مختفي، ينظر لىٍ، يحاول ان يسيطر علي صدمته، اعرف العواقب، سيتعذب الكثير. حاولت ان اعرف ماذا حدث ؟ لكن لا اخبار او شئ جديد، الجميع صامت، الجميع لا يعرف ماذا حدث ؟ اين ذهب الشعب ؟ الشرطة لم تلاحظ اي امر غريب، لا مسيرات او تظاهرات، البلد فارغه بكل بساطة، الجميع مختفي، ليس عصيان حتي !

اشتعلت بعض وسائل الاعلام بهذا الخبر الغريب، الذي لم يحدث مثله من قبل ،البعض تحدث عن مؤامره خارجيه، و اخرين تحدثوا عن وباء انتشر فاودي بحياه اهل تلك المقاطعه ولكن اين اختفت الجثث.

منذ عشر خمس سنوات، كان الرئيس السابق قام بحملة اعتقالات كبيرة. و كان لهذه المقاطعه نصيب الاسد في التنكيل و الاعتقالات، حاول اهلها التحمل و التحمل، حتي جاء هذه المعتوه من ظلمة السجون، ليسيطر علي الاوضاع، و كانت الدول المساعدة للفاشي، قد ملت وجوده، لذا استبدلت لاسماء و الاشكال لكن ظلت

السياسه واحده.
و اطلق ذلك اليوم الذي سقط فيه الفاشي يوم الفراشات، اليوم في عيد الفراشات، كانت الشوارع فارغه و كذالك المقاهي لا يوجد بها احد، يسود الهدوء كل شئ، مقاطعة الاشباح، كما اطلق عليها.
في البدايه ظن البعض ان هذه حيله تهدف الى احراج الرئيس لما صدر عنه ضد اهلها من اهانات تجاههم و وصفهم بالمجتمع العاجز الكسول، و انهم هم اسباب الازمه الاقتصاديه التى يمرون بها من نقص في الموارد و انتشار للبطاله و تمديد ساعات العمل الى اكثر من ثمان ساعات، و لم يكتفي بذلك بل صار يعين الفاسدين في المناصب الحساسه للمقاطعه.
كلفت من الرئيس نفسه ان اعرف ماذا حدث، و اين اختفي الشعب ؟ لقد اخافه الاختفاء اكثر من اي شئ اخر، مقاطعته التي جاء منها هي اكثر ما كان يخشاه، المقاطعه الاكثر تظاهراً في تاريخ البلد باكملها، كيف ظلت صامته في فترة حكم المعتوه هذا !
كانهم نسيوا تماماً تلك الامور، كانوا في حاله من الاستسلام الغريبة، و كانهم اشباح، المهم عندهم ان يحيوا بي اي شكل و مهما كلفهم الامر، ذهبت و معي خمسون جندي من القوات الخاصه، لرؤية ماذا حدث، لم اعرف ماذا عليٍ ان افعل ؟ لكني بداءت في الذهاب الي بعض البيوت، التي لم تسرق و لم تتغير عن عادتها اليوميه،

كانت ثابته، و كان اصحابها لم يغادروا المكان منذ اسبوع، كل شئ في مكانه، لم ياتي حتي اللصوص الي هنا.
الجميع خاف من هذه المقاطعة، و ما زاد الامور فزعاً هو موت لص حاول سرقة المكان، لم يصل الي المقاطعه المجاورة حتي وقع، الاطباء حلفوا انه اصيب بازمة قلبية، لكن انتشر بين العامة انه هذه المقاطعة انتشر فيها غاز سام !
ظللنا لمدة اسبوع اخر نفتش المكان لكن كل ما نجده بعض الابيات الشعر
« أبانا الذي في المباحث...
نحن رعاياكَ....
باقٍ لك الجبروتُ....
و باقٍ لنا الملكوتُ....
و باقٍ لن تَحُرسُ الرَّهَبُوت».
ثم نجد في مكان اخر اجزء اخري من تلك القصيدة ..» اليوم يومك يرقي السجين الي سدة العرش»
كنت اعرف تلك الكلمات، كنت يساريا ذات يوم لم ارتضي ما يحدث في وطني، لم احب الفساد، لم احب ضعفنا و خنوعنا، لكن اتصطدمت بالحقيقه التي سرعان ما جعلت افكاري تختفي.
مضي اسبوع اخر، ولا احد يعلم ماذا حدث ؟ و الرئيس كل يوم يتصل ليصيح فيٍ بماذا حدث ؟ و الحقيقه انني لا اعرف كيف

اجيبه، اخبره اننا مازلنا نبحث، الامر غريب، لا يوجد هنا اي تسرب لغاز سام.

لا شئ غريب، الامور عادية تماماً، لكن اي ذهب الشعب لا احد يعلم، نبحث لنجد المزيد من تلك القصيدةمكتوبة علي جدران غرف النوم، و معلقه في شكل منشورات..» العرش يصبح سجنا جديداً و أنت مكانك قد يتبدل رسمك و اسمك لكن جوهرك الفرد لا يتحول... الصمت وشمك «.

لقد جن اهل المقاطعة بهذه القصيدة، كتبت مرة بخطوة تعرف استخدام الاسبري، فاكانت الحروف مكتوبه بشكل ثابت، و كتبت مرة كثيرة بشكل عشوائي و كان من يكتبها كتبها في خوف و توجس، مضي علي اختفاء اهل المقاطعه اكثر من شهر و مازال لا احد يعلم اين اختفي الشعب، و مازالت الابيات تنتشر علي جدران باقي المقاطعات !

٢٠١١/١١/٥

بضع دقائق

الأن فقط من حقي أن اتسأل من اين لىٍ بكل هذه السكينه و تلك الطمئنينه، انا الذى لم يكن يؤمن يوماً بما يسمى بالتصالح مع الذات و السلام الداخلى، ربما هى طمئنينه ما قبل الموت، الطمئنينه التى تجعل كل الاشياء منعدمة القيمة فى نظرك لا شئ يستحق التمسك به، تجعلك ترى الحياه على حقيقتها، مجرد زيف بلا معنى، تتحكم فينا اشياء كان ينبغي لنا أن نملكها الأ انها اصبحت تملكنا و هذا يسبب لنا غضب عظيم كما قيل في رواية نادي القتال.

لكنى علي عكسهم و عكس الجميع لم امتلك شئ، لم امتلك حلم او هدف او حبيبه، مجرد ذكريات هي كل ما امتلكه عن ماضي، لقد اعتادت اسرتي التنقل للبحث عن باب للرزق، لذا لم امتلك صديق بحق، كنت اعرف في داخلي اننا لن ابقي هنا طويلا، لذا لم احب التقرب الي احد او لشئ.

لذا اكون محق حين اخبر نفسي انه لا يوجد شئ استطاع امتلاكي الا رغبتي في الفرار من هنا، وحدها من تملكني، لقد قضيت سنين عديدة اشعر فيها بالخوف، الرهاب المجتمعي كان يحاصرني، لا

يوجد عيب في كوني منعزل، انطوائي، لكن العيب كان في كوني فقير، لم اكن من المؤمنين بجملة « الجنة للفقراء» ما معني العيش في كدح لانال الجنه، كان الرسول يستعيذب بالله من الفقر، أذن متي تحول الفقر الي فخر و دليل علي الاسلام !

اطلعت علي العديد من كتب الفقه و الشريعة، كنت اريد ان اعرف هل الاسلام للفقراء، و الجنه لنا في حين ان الدنيا و ما عليها للاغنياء فقط، هل نحن الودعاء الطيبون الذين يرثون الارض لاننا لا نشنق كما قال دنقل، ام اننا نرث العبودية و الفقر بالتباعية، كان ابي دوما ما يستعيذ بالله من افكاري و يخبرني ان الله كتب لكل منا رزقه، فلا يجوز النظر الي اموال الاغنياء و يظل يحدثني عن القناعة، لكني لم اصدقه، كتب الله لنا رزق علي قدر عملنا و اجتهادنا، في حين ان هناك من يستحوذ علينا و علي اجسدنا و اروحنا و ارزقنا، لذا رزقنا ياخذه المستحوذ و لا ننال منه الا الفتات مجرد الفتات لنسبح بحمده و نعظمه و كما فعل سلفنا المصريين، سنعبد الفتات و اصحابها.

لكن لا ليس الفقر وحده ما جعلني ساخط علي كل شئ، ربما بدأت كراهيتي حين كبرت قليلا احببت فتاة تدعي بسمة كانت زميلة لي في كلية الحقوق، اخبرتها بحبي فا اخبرتني بحبها، مضت سنوات الجامعه مسرعة بنا، كان امامي الكثير لافعله ليجمعنا بيت واحد بينما جاء من انجز تلك الاشياء قبلي فظفر بها.

لقد بيعت في سوق الزواج لمن يمتلك المال، لذا امنت بان الاموال ليست لعنة، القناعة ليست جيدة كما كانت تعلمنا الافلام القديمة، الاموال هي كل شئ، الاموال تختصر الطرق، الاموال تريح البال، الاموال تجعلك قوي، الاموال تجعلك انسان حقيقي قادر علي فعل الكثير و الكثير قادر علي رؤية و تحمل الحقيقة بدون اي خوف من عواقب تلك المعرفة.

لذا كان عليٍ ان اغادر، كان علي البحث عن عالم جديد و اكتشافه، لقد ضاقتً بي العيشة هنا لدرجه الاختناق، لذا حين لم اكن املك شئ، اصبح حلم الفرار يتملكني اكثر فاكثر، اغمضت عيني و تركت الحلم هو ما يقودني الي هنا، الأن الموت هو مصيري المحتوم، لكني راضي و لست حزين، راضي انني من قام بتحديد نهايتي، عظيم ان تمتلك مفاتيح السيطرة علي دروب حياتك و لكن الاعظم هو ان تمتلك القدره علي تحديد طريقة موتك.

كان مراد صديقي من الجامعه دوماً يخبرني بان الحل سياتي عندما نتحرك ضد السلطه، علينا ان نثور لنطلب بحقوقنا، و انا ظللت اردد اغنيه الشاب خالد « الحوت خير من الدود، الحوت خير من الدود».

الان مراد يحارب هو و طه صديقي الكليه و الاحلام لكسب معركتهم مع النظام في ثورة لن يربحون منها شئ الا المزيد من الجراح و الدماء، عرفت الحقيقه من البدايه لذا فضلت ان اواجه

الموت في البحر عن ان اثوره ضده معهم.
استمع بوضوح الان الي الهمسات و الاحاديث الجانبيه، تحدثت مع من كان يجلس بجاني في القبو منذ قليل عن انني سادون بعض الكلمات التي تتحدث عني و عن احلامي و ساحاول ان اجعلها تظل بعيده عن الماء حتي لا تفسد، حينها نظر لي بازدراء، و كانني اسبه مثلا، لكن الحقيقة انني اريد ان افعل كما فعل احد عمال شركة الملابس العالمية حين وضع ورقة تتحدث عن الاستعباد الحديث الذي يجدونه لصناعه هذه الملابس.
اريد ان يبقي شئ او كلمة او حرف، لتخبر الباقين انني لست جبان، غسل الصحون في الخارج ليس عيب، لانك هناك ستحصل علي فرص حقيقة لتتفوق، ستنعم بالامن و الامان، لن تخاف ان تهدر كرامتك لانك لست من اصحاب النفوذ.
هل تسبني الان يا من تقراء خطابي الاخير ؟
ارجوك الا تفعل، انا علي عكسك، لم امتلك فكرة وردية عن العالم البعيد المسمي بالعالم الغربي، اعرف كل شئ عنه، اعرف عن اطماعه الاستعمارية، اعرف عن دعمه الديكتاتوريات علي مدار تاريخه، اعرف مفاجع فرنسا في البلاد التي قد احتلتها، اعرف مفاجع امريكيا و عما فعلته في دول امريكيا الاتينية التي ارادت الحرية و الديمقراطية، فقد اطاحت امريكيا بكل شئ في سبيل رغبتها الاستعمارية، لكن لا مفر نهرب من ديكتاتور لديكتاتور،

فالعالم لم يحكم من قبل الطيبين، الحكم لم يخلق الا للفاشين.
الان و بينما انا اكتب اخر كلماتي، اشعر بتوغل الماء اكثر فاكثر اشعر بها اسفلى لقد ابتل اسفل بنطالى، بضع دقائق فقط و سيبدا تدفق الماء اقوي و اعنف هذا القبو سيمتلأ، سيغمره الماء روايداً روايداً ، حتى تجد المياه فرصتها لتبدا بالتدافع اكثر و اكثر، حتى ينفجر و تظل تتدفق المياه و تتدفق بلا توقف..
هل سنطفو للدقائق أم لثوان أم ستبتلعنا الماء عادتها و نصير مجرد خبراً فى احدى الجرائد يترحم من يترحم و يسبنا من يرانا نعيق مسيرة التقدم و نسئ لسمعه الدول.
ثم ماذا سيحدث ؟
من المؤكد أنه لا جديد، سيمر شهراً او اقل، لنصير مجرد ذكره، ثم يأتى من بعدنا من يعيد نفس الكره، و يسير في ذات الطريق، انها دائرتنا المغلقه، التى حبسنا بداخلها بسبب أننا فقراء في دولة تؤمن بالأنسانيه لمن يمتلكون المال.
ينشغل بالى بسؤال هل ساشعر بقليل من المتعه ؟ ام اننى ساخذ الأمور على محمل الجد، و تنمحى تلك الشخصيه الكارتونيه عندما تواجه الموت، ربما ساطفو لدقائق ، لا اعلم جيداً المده، اعلم اننى لن اقاوم، لن اتمسك بتلك الحياه، سيحملنى الماء قريباً الى النهايه التى لم اتصور أن تكون هكذا.
هنا في هذا القبو الموجود في تلك السفينة المتاهلكه، انظر و

امعن في النظر لافطن و اعرف حقيقه الانسان،
تلك الحقيقة الخالصه بلا اي بلا زيف او نفاق او اسطناع ، كل من هنا حقيقون بنظرة الهلع و الخوف التي تكسي وجهم، و ترقبهم للنهاية الحتمية، النهاية التي كنا سوف نلاقيها في وطننا بشكل مختلف اما حادث سير، او طعام فاسد او ماء فاسد، هناك حيث كنت غريب، كان كل شئ مسرطن، كل شئ فاسد، كان ما علينا ان ندعي الله ان لا نصيب بمرض لن ينستطيع تحمل تكلفة علاجه.
الان الحقيقة وحدها من تسود خشبة المسرح و الاحداث، الجميع يقراون القرأن و هناك من يرسم الصليب و يصلي، الجميع هنا يريد النجاة باي شكل، لكن هل هناك نجاة في ظلم تلك الزمرة من الديكتاتورين الذين يصادرون حقنا في الحياه، الا من خلال نظرتهم الضيقة للحياه، هنا كل شئ حقيقي باستثنائى انا الشخص الوحيد الجالس فى هدوء لا اعرف لماذا لا اصرخ؟
لماذا انا صامت كل هذا الصمت ؟ من اين لى بهذا الهدوء ؟ الذى صار يقلقنى كثيراً البعض ينظر لىٍ بعين الاحترام، احترام من يتقبل ما هو مقدم عليه شخص يتقبل حقيقة موته بكل هدوء.
والبعض الاخر يمقتنى لاننى لست مثلهم لا اتشبث بالحياه، لا ابكى على فراقها، اللعنة التي اصبتني بدون طلب مني، الحياه مجرد اكذوبة نحاول ان نجعلها حقيقة لماذا لم انهيها قبل الان

استطيع ان الغي كل تحكمات الديكتايورات في العالم، استطيع الهروب من ذلك الجحيم بطلقه في الراس او تناول دواء بكميات كبيره، او كما افعل الان بالقفز في الماء.
لقد غمرتنا الماء اكثر و اكثر حتي اصبح قبو السفينه نص ممتلئ، تسرب اليه الكثير من الماء، كنت اعرف ان الغرق احتمال قوى، لكن الغد، كان يشدني اليه، يجعلني اطفو فوق كل شئ، لقد خلقنا لنستعبد فى بلادنا، السبيل الوحيد للحرية هو ان نتجه صوب البحر، لنفاضل ما بين الاستعباد أو محاولة النجاة بين امواج البحر و الغرق، لست نادم على سلوكى هذا الطريق، يلقبونها بالهجرة الغير شرعية، لانها تاتيهم بنا نحن الفقراء، الذين يفعلون ما يستطعون ليبقونا في الاستعباد ابناء القارة الفقيرة.
افريقيا قارة الثروات المنهوبة للمواطن الابيض، المواطن الابيض الذي يتحكم فيٍ و في كل شئ من حولي، يفعل ذلك ليس لانه يستحق ذلك، بلً انه يفعل هذا لانه فقط مواطن ابيض، يعتلي المنبر ليصيح فينا قتلة ارهابين، مخربين، فاسدة، و هل المجاز التي فعلتها فرنسان في الجزائر لم تكن ارهاب، هل ما فعله الامريكان باليابان لم يكن ارهاب، و هل ما فعله اليابانين بالصين لم يكن ارهاب.
حتي اسرائيل التي تسرق الارض و تقتل الفلسطنين بعد ان جردوهم من حقهم في الانتماء للدولة لا يصفون بالارهاب، لفظ

ارهاب حكر علي الضعفاء حين ينتفضون للرد علي العدوان و طلبهم بحقهم.
لتتلاعب بنا الامواج و عما قريب سننتهى فى هدوء، هل نحن بشر في نظرهم، هل نحن شئ يعبؤن بيه ؟ يا من تقراء رسالتي الاخير قبل ان يبتلعني البحر و تحيا مثلي، لا تلقي عليٍّ اللوم، فانت مثلي مجرد صفر، ليس لك قيمة مهما صاحوا فيك بانك هام، بانك عظيم، قائد و معلم، انت مجرد عاله عليهم، انت مجرد رقم بنكي يضيف في خزانهم المزيد من الاموال.
يا من تقراء رسالتي اذا كنت في مثل حالتي لا تلعني فقط ترحم علي نفسك قبل ان تترحم عليٍّ، لاننا و بعد بضع دقائق سوف احصل علي الرحمه التي لن تستطيع الحصول عليها الا بسق من متزعمين الدين و الاخلاق و القيم، لن تحصل علي تلك الرحمه الا بعد ان تزداد اموالهم هنا فقط يمكنك ان تحصل علي الرحمه، للاسف انا وانت في خندق واحد نحن يا صديقي من قال عنهم دنقل :

« قيل لي (اخرس)
فخرست... وعميت.. وائتممت بالخصيان !
ظللت في عبيد (عبس) أحرس القطعان
أجتهز صوفها...أرد نوقها...
أنام في حظائر النسيان..

طعامي الكسرة و الماء و بعض التمرات اليابسة..
و ها انا في ساعه الطعان..
ساعه أن تخاذل الكماة... و الرماة.. و الفرسان.. دعيت للميدان !
أنا الذي ما ذقت لحم الضأن..
انا الذي لا حول لي او شأن..
أنا الذي أقصيت عن مجالس الفتيان..
أدعي الي الموت... و لم أدعي الي المجالسه !
تكلمي أيتها النبية المقدسة «
نحن يا صديقي من أئتممنا بالخصيان، ليصبحوا هم وحدهم الذكور، حتي و ان كان بهم علة، حتي و ان ضعفوا، فهم وحدهم الذكور، لذا تذكر اننا مجرد حثاله فى اعين الجميع، حتي انت تراني حثالة، لا فائدة ترجوا مني، انت تراني كما تري نفسك يا عزيزي مجرد كومه عديمه الجدوى .
من نحن .. حقا، لطلما تسالت من نحن فى اعين انفسنا و اعين الغرب، نحن في اعين انفسنا ملوك العالم قديما احفاد الفراعنه، استطاع اجددنا ان يشيدوا حضارة لمدة ٧ الالالف سنه، شاهدة مره فيلم يتحدث عن مغامرات رحاله و لم تخب ظنونى فى تصوير العرب على انهم بلاد مهتراه بلا حضاره او شعب ، بلد تستطيع ان تستبيحها بكل هدوء ، فلا تشعر بالعار او الخزى بكونك قاتل لشخص عربى ، نحن الطاعون فى اعينهم ، نحن مرض العصر الذى

لابد من موجهة و القضاء عليه.
نحن مثل الاموات، الفرق بيننا اننا نتنفس ، نشعر ، نسب ، نتعب ، و الاهم من كل هذا ، هو اننا نتألم ، كل يوم و فى كل ساعه حين ننظر الى المرآه فلا نجد شاب بل كاهلاً يملأه العجز،حين ننظر فى اعين من نحب نعلم حقيقتنا و مقدار ضعفنا.. لا نتحدث عن المستقبل، كل ما يشغل بالنا هو اليوم، فكيف إذن بالغد...لقد كنت ميتا لماذا احزن الان ....كنت اوزع الابتسامات المصطنعه قبل سفرى باستمرار، حاولت ان اطمئن من اعرفهم بان كل شئ على مايرام استمريت فى الكذب حتى صدقت كذبتى.
الماء الان قد ارتفع الى نصف جسدى ، هناك شاب يصرخ بشكل هستيرى يصرخ و كانه سينجو بالصراخ ، على مقربه منى ذلك الشاب النحيف كان يريد ان يكمل دراسته فى الخارج لم يعد يطيق تلك المعامله على انه عاله و عاجز ، اخبرنى عن معاناته فى الحصول على الدكتوراه فقرر الهجره للبحث عن التعليم ، قرار ان يواجه الموت لعله اذا انتصر عليه فلسوف ينتصر على الحياه ، ذهب للبحث عن فرصه قد تكون وهما له و لكل من يسلك هذا الدرب ، ثلاث سنوات يحاول ان يحصل على حقه فى التعيين الجامعى ، ثلاث سنوات يحارب طواحين الهواء ، لكنه انهزم ، انكسر ، عرف ضعفه و عرف ان هكذا هو مصير الفقراء.
انه مثلى و انا مثله ،نحن متشابهون فى الكثير ، رغم اخلافنا فى

التعليم و الظروف لكن تظل حقيقه سفارنا و اقبلنا على تلك المغامره واحده ، اننا جميعا نحاول لهروب من جحيم بالقاء انفسنا فى جحيم اخر متمنين ان يصبح الجنه.
هناك فى اعلى السفينه من يقفز ولكنى الى اين سيذهب... الى اين ؟ كل ما يحطنا ماء ... فقط الماء... اذن اين المفر لنا... اين المفر ؟ نحن فى عرض البحر، لا يوجد طريق لليابسه او اى مكان اخر، فقط كل ما تراه هو البحر حتى تشعر ان الكوكب ماء فقط و ان اليابسه لم تتواجد يوما ، كانت مجرد وهم كحياتنا.
البعض يتحدث عن استغاثه الربان بالنجده، حينها تسالت هل تسجدى نفعا تلك الاستغاثه ؟ هل هناك احد سيتحرك ويسرع لنجداتنا ، هل سيتحرك من امر بقتلنا لنحياه على ارضه ، هل حقا سيحاولون نجدتنا، هل حكومه بلدنا التى لفظتنا و كانت سببا فى موتنا و افقرنا و جعلنا نتمنى الموت على البقاء فى ظل حكمها ، هل ستعبنا بنا و هى السبب فى موتنا !
ام تلك البلاد الاوروبيه التى تعملنا على اننا حيوانات لا بل ادنى من ذلك ، ينظرون لنا على اننا سبب كل الكوارث و لابد من قتلنا او ابداتنا ، لا احد .. لا احد يردنا ، اننا عاله فى نظر الجميع ، لقد لفظتنا بلادنا ، لن يسمح لنا الغرب بأن نخطو فوق ارضه ، نحن غرباء عن هذا العالم ، لقد ضاق علينا رغم اتساعه !
الماء قد ملا القبو الان ، و لا نستطيع الخروج ، لقد تحطم جزء

كبير من السلم وسدت الفتحه المؤدية الى سطح السفينه ، لا سبيل لفعل شئ ، الان تعزف بداخل راسي معزوفة بسكاليا ، و يقطعها صوت الشاب خالد يردد « بكيت علي ولادي، بكيت علي بلادي، شوفت دموعي فالخدود» و تستمر بسكاليا في العزف و يكمل الشاب خالد « قالوا يابابا ويما المستقبل مسدود.مابقي فالدوق حتي بنة، الحوت خير ما الدود « كيف تنغمت تلك الالحان ليتصاعد منها ذاك اللحن البديع.

اشعر بالراحه و السكينه تملانى ، اجد كل من حولى يصرخ فى شكل هستيرى ، الكل يبكى ويتضرع الى الله ، لكنى صامت متقبل حقيقه ان لا احد يهتم بنا ،لا شئ سوف يحدث ، لقد تركونا لنلقى مصير وحداً ، على الاقل سنكون اكثر نفعا لتلك الاسماك ، سنشارك اليوم في اكمال الهرم الغذائى. هنا عرفنا حقيقتنا و تاكدنا من كوننا لا نساوى شئ على اليابسه او فى الماء ، لا شئ مطلقا.

٢١٠٧/٦/٨

لكمة

كان الامر حديث العهد عليِ، لكني كلما تذكرته كانت مشاعري تتداخل فلا اعرف هل كان الامر ساخر ام درامي اكثر من اللازم.
اتذكر قصة لي لي للاديب الراحل يوسف ادريس، و كيف ترك الشيخ المصلين ساجدين و ذهب، صارت القصه بعد ذلك امر للسخريه.
لكنها تحمل الكثير من الدراما التي تجعلنا نتسأل لماذ ارادت ا لي لي ان تغوي العابد ؟و لماذا سقط العابد بين انياب الشيطان؟
لا اعرف السبب لكني كلما تذكرت تلك الواقعه اشعر بتانيب الضمير، و اتسأل كيف تركت نفسي افعل هذا الامر بدون اي تعقل او تفكير.
اتذكر ان هناك شئ غامض هو الذي حركني، كنت مثل المنوم مغناطسينا، هناك شئ بداخلنا يجعلنا نتحرك ضد ارادتنا، لا نستطيع ان نتحداه، نعجز دوما عن منازلته،يمكن ان يكون شعور غير متعارف عليه بعد، او مزج بين عدة مشاعر مثل، الرغبه، الشهوة، الكرامه، الخوف، الثائر، هناك احساس، يتحكم بنا دون ارادتنا، لذا نندهش من فعلنا، و نتسأل عن السبب.

كانت السماء ملبده بالغيوم، لم اريد الذهاب الى منزلى لتبديل الملابس، فور انتهاء الاجتماع قررت ان اكمل الطريق الي الورديه الليليه، كنت اعرف ان الطريق سيكون مزدحم الان، فاهذا توقيت خروج الموظفين من العمل و انتهاء ساعات التعليم.
كنت قد قررت انني ساذهب مباشرة، فور صعودى المترو وجدته كما اعتقدت مسبقاً ينقسم الي موظفين انتهي يومهم الوظيفي و طلاب الجامعه، كانت حركة الموظفين ثقيله و كانهم يحملون اكياس من الرمال تجعل حركتهم بطيئة، و علي النقيض كان الشباب يتحرك اسرع ربما اسرع من العادي.
جلست بجانب مجموعه من الشباب، كانوا حوالي ست اشخاص منهم بنتين، اطلقوا بعض النكات الابيحه، لم تخجل الفتيات بل شاركتهم الضحك، حاول ان ابتسم علي النكات لكني وجدت اني هناك صمت ثقيل قد القي بظلاله علي علي غير العاده، لم ارد ان انطق بحرف و كاننى غريب عن هذا العالم و الناس.
ربما اكن لعملي كراهيه كبيرة، و بالاخص تكمن كراهيتي للمدير، حيث يشبه الخنفساء بشكل كبير فاهو قصير القامه ممتلأ البطن، اصلع الرأس، ان تعمل كا مندوب للادويه (ميديكال ريب) لهُ الحجيم بحد ذاته، فما بالك بان تعمل تحت امرة هذا الخنفساء! اعمل هذا العمل منذ سنتين حين انهيت الجامعه و اخذت الاعفاء من الجيش لكوني وحيد ابوي، لم اجد عمل بدخل مناسب سوي

ان القي بكل ما تعلمته في كليه العلوم عرض الحائط و ان اعمل كمسوق للادوية، كانت البدايه جيده، احرذت تقدم في البيع و التوزيع، كنت اعرف كيف اقنع الاخرين بما اريد حتي و ان كانت تلك الاراء غير مقنعه بالنسبه لي.
لذا وجدت العمل كمسوق ادويةً ليس بالسئ، حتي حدث انهيار في الشركه، و اغلقت ابوابها و جاءت الي العمل في هذه الشركه لاكون تحت رحمه هذا الخنفساء،
التسلط و قلة الخبره و النقص النفسي هم المعيار الاول لاختيار المدير علي حسب ما اعتقد، لابد من خنفساء في كل عمل بلا ادني سبب لذلك، لكن علي كل حال ارقامي و نسب توزيعي تخرس دوما الخنفساء عن الحديث دوماً.
جاءت محطه انور السادات مسرعة علي غير عادتها، كانت عقارب الساعه تشير الي الرابعة ونصف ، فالوقت مازال مبكر علي الذهاب الي العمل، واضيق لاعود الي منزلي مجدداً، شعرت بانني بحاجه الي استنشاق الهواء قليلا، فالجو بداخل عربات المترو مثير للغثيان جدا اشعر بثقل الهواء و عدم قدرتي علي التنفس بشكل جيد.
حين اتواجد بداخل اماكن مغلقه لمدة طويلة، لذا تركت المترو و اطلقت العنان لقدمي، فور خروجي شعرت بنسيم، و ظللت لثواني ثابت استنشق الهواء لاعود لحالاتي الطبيعه من التنفس.

التفكير في جسدها و ان تنظر الي نفسها كا شخص حر، ثم تدعه يعبث بذلك الجسد كيفما شاء.
طلب فنجان قهوة ثم اشعلت اولٍ سجائري، كان النقاش بين الشاب و الفتاه شديد و يسير وفق ما ظننت، الشهوة تدب في اوصال الشاب، الفتاة تريد الجنس لكنها ترفض ان يكون بالمجان، اذا كنت تريد الوصول الي جسدي لابد لك من العبور من قلبي، و هذا الامر يتطلب وقت اطول بكثير مما يريده الشاب.
و كانت تتعلا كلمات الخناق بينهم، فلم استطيع ان امنع نفسي من اختلاس السمع لهم،
فاوجدتهم يتحدثون عن ما علاقه انتشرت بين الشباب الان تسمي "Friends with benefites"
الجنس المجاني، بدون قيود او سطوة الحب، الجنس الحيواني في المقام الاول، اعترف انني في فترة سابقه اغرمت بهذه العلاقه، حاولت الحصول عليها، فاحصلت علي اسوء تجربه يمكن للفرد منا ان يمر بها.
كان اللقاء سئ جدا، التجربه الاولي، الشهوة المسيطرة، الرغبه التي تحرق احشائي، و انعدام الخبره او قلتها، افلام البورن ليست حقيقه، مجرد وهم، الحقيقه انك تقف مرتعش، خائف، قلق، التجربه الاولي، اتلاف شئ بداخلك لا تعلم ما هو لكنك تعلم ان هناك شئ تغير بداخلك، و انك لم تعد كما كنت، لقد تزوقت

المتعه و ان كانت سئيه ردئيه لكنك تزوقتها و انزلقت اليها بكامل ارادتك، البحث المستمر عنها اصبح محركك الاساسي.
ظل الشاب يحدثها عن الافكار التحرريه و الثورة الجنسية، و كيف ان التقيد بقيود المجتمع حول الشرف، و حرية الجسد، مجرد افكار خاويه باليه، ليست ذات معني، ما السبب الذي يجرم ان نفعل ما ينادنا بيه جسدنا، جسدها ليس ملك ابيها او اخيها، جسدها ملكها، ظل الشاب يثرثر بكلمات محفوظه خاليه من المعني.
لم استطيع ان اتماسك امام كلمات الشاب الذي يبدو عليه قلة خبرته، لقد صارت تلك الكلمات تردد علي مسامع الكل و اصبحت باهته، اذا كان يريد من تلك الفتاه الجنس المجاني لماذا لا يخبرها بالامر بمنتهي البساطه، جسدك يعجبني لماذا لا تشاركيني السرير ؟ لماذا نتلاعب بالقلوب و الهدف يكون ابعد ما يكون عن القلوب.
كيف وصل بنا الحال الي هذا الشكل ،هنا منذ اربع سنوات تقريباً ، كانت هذه الارض غير ما اجده الان ،حتي الناس لم يكونوا كما الان، كانوا يصيحون بعلو الصوت « عيش- حريه – عداله اجتماعيه» اين ذهبوا الان، اعرف الكثير منهم تركوا مجال السياسه و تفرغوا لاشياء تدير عليهم قوت يومهم، و اعرف من اكمل معارضته، و من يجلس الان بداخل السجن.
لكن التغير الذي طرأ علي و علي بعض اصدقائي كان كبير، لقد

لم اعرف الي اين ساذهب لكني شعرت بحاجه ملحه لشرب فنجان من القهوة، لذا سيرت في ميدان التحرير حتي وصلت الي شارع شمبليون، سرت قليلا حتي وجدت قهوة بلدي، تصطف الكراسي علي جنبي الطريق.

كانت القهوة ممتلأه، شعرت لثواني ان الجميع ترك اعمالهم و جاء للجلوس هنا، بحثت عن كرسي و مكان بعيد نسبيا عن الجميع، فا وجدت كرسي شاغل بجانبي وجدت شاب و فتاة.

كان الشاب في منتصف العشرينات يرتدي تيشرت اسود مكتوب عليه بالخط العربي « قوم نحرق هالمدينة» اللحيه تغزو وجه، كان يدخن بشراهه و كانه يريد ان يحرق صدر و كانت الفتاه تبدو في مرحلة الثانوي او بداية الجامعه، لكن جسدها كان كبير بالمقارنه مع ملامحها.

اعرف جيداً تلك العلاقات و الفئه التي تجلس بجانبي، كنت منها يوما ما، كنت العب علي تلك الافكار مع العديد من الفتيات، البدايات دوما ما كانت متشابهه الانبهار الاولي، الاعجاب المتبادل، ثم تاتي المرحله النهاية، نصب الشباك، لم اكن اجيد الوصول الي النهاية.

كانت دوما ما اتعثر في النهاية، لذا اعرف تلك العلاقه التي يحتل فيها الجنس كل شئ، سيتحدث معها عن الحريه و العداله و التحرر حتي يصل الي جسدها، يخبرها انها لابد ان تتوقف عن

انتزعت منا روح المقاومه و باتت الامور اقبح او اوضح عما كنا نراه من قبل.اتذكر ايام ثورة ٢٥ من يناير المجيده.
كان الميدان ممتلا عن بكرة ابيه، و الاعلام ترفرف في سمائه، و الهتافات من قوتها تجعل الارض تحتها تهتز، كانت ثورة لحلم وصوت لجيل ظن الكثير انه لا يهمه سوي الجنس و المخدرات، البعض كان يعتقد اننا سينسر في دائرتهم، و نفعل كما فعلوا، لقد تناسي الجيل الذي يسبق جيلي كل شئ.
كما يقول ولدي لي دوماً لقد التهو في الحياه، ربما حاول جيلي ان يلتهي بالحياه الان، بعد ان خسر معركته، و علم ان ليست بالاحلام فقط نحيا، لكني اعلم جيداً ان جيلي و اجيال الثورة وحدها من تستطيع ان تنهض بالبلاد مما هي فيه، لقد قامت ثورتنا في هدوء لا احد يعلم ما البدايه، لكنها قامت و اشتعلت الرؤوس من هولها، لم يعتقد احد ان هذا الشعب الذى صمت ثلاثين عام سيثور و ينتفض.
كنت استرجع كل شي من احسايس و لحظات النصر و الهزيمه ، الذكريات لا تحتضر مثلانا ، هى باقيه عنا ، تصمد في مواجهة تقلبات الايام ، الذكريات لا تقهر ، لذلك نقهر ، ياليتنى كنت مثل الذكريات اواجه انهزم او انتصر لا يهم لكن ما يهم ان اظل احاول و احاول ا لا انكسر احاول حتى لا ايائس .
كنت احلم بان احب ان اصير كاتب مشهور، لكن اين انا الان؟

لماذا اكتب لنفسي فقط ؟ اين اختفت بسمتى ؟ عندما انظر امامى في المراه اجد انسان اخر ، انسان لا اعرفه.بداءت مؤاخراً اشعر اننى محجوز بداخل جسدى اننى انظر الى الناس من خلف جدار زجاجى ينظرون الى و انظرهم لهم ، لكن لا سبيل للحديث ، لا سبيل للتواصل.
انا مسجون بداخل جسدى سجن بلا قضبان ، لا تستطيع ان تقول انك مسجون الا يحسبك الناس مجنون ، لا قضبان فيه لا شي، فقط سجن من دون اسور .
ظللت استمع الي كلمات الشاب عن الثورة الجنسيه، واتذكر كم التضحيات التي قدمها الشباب، اعرف اكثر من شاب فقدو حياتهم بالقرب من تلك القهوه، لينال امثال هذا الشاب حياه افضل، لذا لم اعد استطيع الاستمرار في السمع، كانت تمتلكني غصه بسبب ما وصلنا اليه، تملكت نفسي من الا الكمه في وجهه، هممت بالمغادره، و حين دفعت الحساب لم استطيع ان اكمل في تمالك نفسي، فاوجدتني الكمه في وجهه عدة لكمات، و انا اصيح « جسدها عورة يا ابن الوسخه» و ظللت اكرر الجمله، حتي تدخل البعض و فضوا النزاع بينا، و هو منبهر بما يحدث، ولا يصدقه، بينما انا سرت الي العمل و لم اعد اشغل بالي بما حدث، حينها اشعلت سجارتى و مضيت في هدوء وراحت بال لم اعدها منذ زمن بعيد..

تمت بحمد اللله

٢٠١٦/١/١٢

مسار
للنشر و التوزيع

01020439639